٢٧ خرافة شعبية عن القراءة

د. ساجد العبدلي
عبد المجيد حسين تمراز

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
الطبعة الثانية

٢٧

خرافة شعبية عن القراءة

٢٧

خرافة شعبية عن القراءة

د. ساجد العبدلي

عبد المجيد حسين تمراز

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2015 م - 1437 هـ
الطبعة الثانية: كانون الثاني/يناير 2016 م - 1437 هـ

ردمك 978-614-01-1723-5

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **كريم آدم**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

المحتويات

إهـداء

أهـدي هـذا الكتـاب إلى زميلي فـي تأليفه. قد تستغربون، نعم، لكنني بالفعل أدين له بالفضل بعد الله، فلـولا إصـراره علـى فكرة الكتـاب، ومطاردته لـي طـوال أشـهر متلاحقـة لإنجـاز الجـزء الخاص بي وتسـليمه، لما رأى الكتاب النور. شـكراً يا عبد المجيد، أنت قارئ رائع وكاتب مجتهد حقًا.

ساجد العبدلي

مدخل أشبه بالمقدمة

المقدمات في الكتب دائمًا مظلومة، لأن هناك نسبة كبيرة من القرّاء يمرّون عليها دون أن يلقوا التحية، لذلك لا نريد من هذا النص الشبيه بالمقدمة أن يكون مقدمة بالمعنى الحرفي للكلمة، بل حسبه أن يكون المساحة التي نستطيع من خلالها أن نخرج عن حدود صلب الكتاب. لا نريد هنا أن نقول لك كيف تقرأ الكتاب، فهذا حقك الخاص وحريّتك الوجودية، ولكن نودّ أن نطرح شيئًا مختصرًا حول فكرة الكتاب.

في كل مجتمع خرافات يحيكها الناس عبر الأزمان حول كل شيء من حولهم، ونحن في المجتمعات العربية لدينا كذلك خرافات نُسجت حول فعل القراءة، بعضها مضحك وبعضها ينطوي على مغالطات وبعض آخر غريب جدًا. هذه الخرافات أعاقت انتشار القراءة ونموّها على المستوى الشخصي والجمعي في مجتمعاتنا العربية، ومن هنا حاولنا أن نضع للقارئ العربي هذه الخرافات على طاولة التشريح لنوضح له تفاصيلها وسياقاتها وكيف يمكن الردّ عليها، ليظلّ هدفنا الأهم دائمًا وأبدًا أن نساعد مجتمعاتنا لأن تصبح مجتمعات قارئة، محبّة للمعرفة، محبّة للكتاب.

1

الرواية تسلية رخيصة

الخرافة: قراءة الروايات غير مفيدة للعقل ومضيعة للوقت

أتقدّم هنا باعتراف للقرّاء الأعزاء.. أنا من الأشخاص الذين كانوا يكرهـون قـراءة الروايـات.. وكنـت لا أقتـرب منها أبدًا.. والسـبب كان خرافة أن الروايات سـوف تضيع لي وقتي ولن تضيف إلى عقلي شـيئًا كثيـرًا.. ومـن أيـن أتيـت بهذه الفكـرة لا أعلم، ولكني أعلـم أنها كانت منتشرة في هواء مجتمعي.. مثل غاز يعبث بعقول الناس ويجعلهم يبنون حاجزًا بينهم وبين أعظم قناة أو وسيط للتواصل بين البشر.. القصة..

الـذي كان يؤلمنـي وأقدّمـه هنـا كاعترافات قـارئ.. هو أنني كنت أشـعر بالفوقية أمام من يقرأ الرواية وكأنه من منزلة أدنى.. كنت أشـعر أن عقلـه رخـو حتـى يتحمّل المعلومات المباشـرة والمعقّدة.. ولم أكن أتصـوّر القيمـة الفكريـة والأدبية التي سـأخرج بها حتـى بدأت بتجربتي الأولى مع كتاب عالَم صوفي عن تاريخ الفلسـفة.. ودخلت في تجربة لم أكن أشعر بمتعتها من قبل.. حرفيًا دخلت إلى عوالم موازية من صنع الإنسان عندما قرأت رواية «العمى» مثلاً لساراماغو، وشعرت أن خيالي بوابة إلى اللامستحيل واللانهاية.. شعرت بالتعاطف وبالإلهام وبالتجربة المعرفيـة وكأن المعلومـة امتزجـت بلحمي ودمي.. ومن بعدها لم أترك عشقي للروايات وقراءتها مطلقًا..

ومع هذا من المزعج أن نجد مع الأسف شريحة في المجتمع تنظر إلـى قارئـي الروايات بدونية وتنكـر عليهم تضييع أوقاتهم.. مع أن أكثر الكتب قراءة في العالم هي الروايات.. وأكثر الأفلام مشاهدة في العالم

مستوحاة من الروايات.. لماذا.. لأنها كما قلت أفضل وسيلة لتوصيل المعلومة لأي إنسان آخر.. ألا نستغرب أن الله عزّ وجلّ يخبر البشر بأنه أعظم من يقصّ القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾؟.. وأن القرآن يحوي في طياته 20 بالمئة من الأسلوب القصصي.. وهذا يؤكد أنها الوسيلة الأعظم للتواصل ولتوصيل المحتوى..

الروايات ليست إلا قصصًا مطوّلة ومفصّلة.. تحتوي على بشر مثلنا نرى نفسنا فيهم ونجرّب نتائج أفعالنا معهم.. إنها أكبر نادٍ رياضي للخيال.. لأنها مبنيّة على عالم واقعي مختلَق.. دقيق بدرجة أننا نرى نفسنا نعيش فيه..

إنها أفضل عيادة صحية للعلاج النفسي.. لأنك عبر التعاطف، أي الشعور بما يشعر به الآخرون دون أن تكون مررت فعلاً بما مرّوا به، تستطيع تفهم أفعال الآخرين والإحساس بها.. إنها أكثر إنسانية من الإنسانية ذاتها أحيانًا.. وقد نشرت قناة BBC مقالة حديثة حول فائدة القراءة بشكل عام، وتكلّمت بشكل خاص عن أثر الروايات والقصص في علاج القارئ وتطوير شخصيته، وهذا جزء منها:

«هناك جملة من الأبحاث تشير، على نحو متزايد، إلى أن بوسع المرء أن يُحسّن حاله من خلال مطالعة القصص والروايات، للمساعدة في مواجهة تحديات الحياة. فكّر في الأمر كنوع من المساعدة الذاتية وليس مجرد كتب مرصوصة على أرفف متوازية».

لقد ثبت أن القراءة تذكي من الفكر التحليلي، وتمكّننا من أن ندرك الأشياء بمنظور أفضل، وهي أداة جدّ يسيرة عندما يتعلّق الأمر بالسلوك المربك في غالب الأحيان لنا وللآخرين.

لكن القصص الروائية على وجه الخصوص يمكن أن تجعلك أكثر

تمكّنًا وثقة من الناحية الاجتماعية. في العام الماضي نشرت دورية علم النفس الاجتماعي التطبيقي «أبلايد سوشيال سيكولوجي» بحثًا أظهر كيف أن قراءة قصص هاري بوتر جعلت الشباب الصغار في بريطانيا وإيطاليا أكثر استعدادًا وإيجابية إزاء الأقليات المهمّشة مثل اللاجئين.

وفي عام 2013، اكتشف علماء النفس في المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية أن الروايات الأدبية قد عزّزت من قدرة الناس على تفهّم وقراءة مشاعر الآخرين وعواطفهم.

نحن نفكر في الروايات كأماكن نفقد فيها أنفسنا، ولكن عندما نخرج منها نأخذ معنا الإلهام من شخصياتنا المفضلة فيها. وقد كشفت دراسة في عام 2012 لباحثين في جامعة ولاية أوهايو الأمريكية أن هذه العملية يمكن أن تغيّر بالفعل من سلوك القارئ.

وفي إحدى التجارب، كان المشاركون الذين تماهوا بقوة مع شخصية خيالية قصصية تغلّبت على عقبات من أجل التصويت في أحد الانتخابات، هم أكثر ميلاً بدرجة كبيرة للتصويت في انتخابات حقيقية[1].

الرواية هي مسرح اللغة.. تراها كيف تلتوي وتصنع معانيَ لم توجد من قبل.. ترقص حتى تجعلك تكتشف أبعادًا ماورائية.. هكذا هو كاتب الرواية، لا بدّ أن يكون مسرحي اللغة ومصنع الخيال وصوفي الشعور وطبيب الإنسانية..

---

(1) العلاج بالقراءة: كيف تجلب الكتب السعادة؟
هيفزيباه أندرسون
13 يناير/ كانون الثاني 2015
http://www.bbc.co.uk/arabic/artandculture/2015/01/150113_vert_cul_can_reading_cure_us

أعـود وأؤكـد علـى هـذه النقطة نعــم.. هناك روايـات رديئة.. نعم بعـض الروايـات لا تزيـد علـى أن تكـون قيئًـا مـن اللغـة واصطناعًا في المشـاعر.. لكـن التعميــم هو ما يُعمي.. لا ننسـى أن أكثـر الكتب تأثيرًا في التاريخ جزء كبير منها روايات.. وأن أعظم الكتّاب في التاريخ جزء كبير منهم يعدُّ روائيًا..

أختم بأن الرواية ليست مدخل القرّاء إلى عالم القراءة.. فقط.. بل هي مدرسـة الحياة التي لن يتخرّج منها أحد.. هي السـعادة التي بحث عنها كل الناس في زوايا الأرض.

(عبد المجيد)

2

أكون أو لا أكون

الخرافة: يجب أن اقرأ كل كلمة من الكتاب (من الجلدة للجلدة)

كل قـارئ لا بـدّ أن تمـرّ عليـه هـذه الحالـة الغريبة من الوسـواس القهـري.. الهـوس فـي التهام الكتاب كاملاً.. أن يشـعر بأنه لم يترك ولا حرفًا واحدًا هنا أو هناك إلا وقرأه.. لا مشكلة في ذلك إذا فرض عليك الكتاب هذه الحالة.. ولـم تدخل مسبقًا عليه بهذا التصوّر..

الغريب أنه ينتاب القارئ أحيانًا شعور بالذنب إذا لم يقرأ الكتاب كاملاً.. صدّقوني هذه نعمة على كل كاتب (ومنهم أنا) لأنه يتمنّى دائمًا من القارئ أن يقرأ كل ما يكتب، ولكنها نقمة أحيانًا عندما تكون مجرد وسـواس ولا تكـون عـن هـدف ووعي وفائدة لإنهاء الكتاب.. فليسـت القضية كما يتصوّر البعض.. أكون أو لا أكون.. بمعنى إما أقرأ الكتاب كاملاً وإما لا أقرأه بالمرة..

القـراءة حريـة.. وكل قارئ يتمتع بهذه السـلطة التي تجعله يحكم بالفنـاء علـى نصـوص ويبعـث الحياة فـي أخرى.. بالتالي ليسـت هناك قوانين في القراءة.. هي فن يتأثّر بكيان القارئ وتجربته الخاصة..

والآن بعـد هـذه المقدمة المهمة دعونا نجيب على هذا السـؤال..

هل من الضروري أن اقرأ الكتاب من الجلدة إلى الجلدة؟ يعني كاملاً..

بالطبع لا.. فبعضهم لا يشعر بالارتياح، أو دعنا نقل الإنجاز، دون أن يختم الكتاب.. وهذه مشكلة خطيرة.. لأنها تؤثر على نفسية القارئ ووقته وتفكيره..

مـن الناحيـة النفسـية.. أكبـر عـدوّ للاسـتمرارية فـي القـراءة هـو

الإحساس بالتقيّد والجبر.. في لحظة ما عندما تضيف كلمات مثل «يجب» «لازم» على فعل القراءة تخسر التجربة خصوصيتَها وورونقها.. اقرأ ما تحتاج إليه وما تشعر بأن نفسك تشتهيه..

من ناحية الوقت.. فأحيانًا تضطر بسبب هذا الهوس أن تقرأ قسمًا أنت لست بحاجة إليه.. أو أنه ليس بالجودة التي تطمح لها.. فأحيانًا يحتوي الكتاب على أقسام أو أجزاء ضعيفة أو ركيكة بالذات إذا كان الكتاب من النوع الذي يقسم فهرسه حسب الموضوع..

ومن الناحية الفكرية.. أنت لا تستطيع أن تهضم مادة إذا لم تكن مهتمًا بموضوعها.. لأن الاهتمام يولد التركيز والتركيز أكبر محفّز للتفكير..

أنا أقترح قاعدة جيدة وهي أن تعطي الكتاب فرصة وتصبر معه لربعه فقط.. وبعد ذلك أنت ستحكم عليه هل تشعر بالدافع لإكماله أم لا.. بمعنى مهما كان عدد صفحات الكتاب اقسمها على أربعة.. فإذا كان من مئتي صفحة اقرأ الصفحات الخمسين الأولى.. أو إذا كان من مئة صفحة اقرأ الصفحات الخمس والعشرين الأولى.. هذه الطريقة ستساعدك على تجاوز فكرة الكسل القرائي.. لأن القارئ أحيانًا يُصاب بالكسل ويضع اللوم على الكتاب.. الصبر القرائي جيد.. وازن بين الاثنين واستخدم هذه الأداة..

أنا شخصيًا أقدّر فكرة تحمّل الكتاب والصبر عليه، فهي مفيدة وتجعلنا نكتشف سوء تقديرنا أحيانًا حول كتاب معيّن.. ولكني أيضًا أتّفق مع الكاتبة جوي دانيلز عندما قالت: «الحياة جدًّا قصيرة حتى نقضيها على كتاب سيّئ».

(عبد المجيد)

3

تحذير!!

الخرافة: القراءة مسبّب رئيسي للجنون

في يوم من أيام عملي السابق كموظف حكومي أحضرت كعادتي كتابي حتى أقرأه في وقت الغداء.. ولاحظ بعض زملائي الكبار في السن (فوق الأربعين) الكتاب.. وقد كانوا يلاحظونني منذ فترة طويلة أحضر الكتب معي واقرأ فيها بشكل نهم.. فتجرّأ واحد منهم واقترب مني ليعطيني نصيحته بكل نيّة صادقة وصافية.. قال لي:

«عبد المجيد إحنا خايفين عليك.. ملاحظين أنك تقرأ كثير ما شاء الله.. أنا بس أبغى أقلك إنو واحد من أولاد أخويا كان مثلك حتى المسكين اتجنّن وصار يقول كلام غريب.. انتبه على نفسك»..

أنا متأكد أنه كان يتمنّى لي الخير.. ولكن لحظة! كيف يمكن للقراءة أن تصيب بالجنون بالله عليكم!!

برأيي هناك اثنان من السيناريوهات للموضوع:

10 بالمئة هم أشخاص يعانون أصلاً من خلل نفسي أو عقلي، ويصاحب هذا الشيء فعل القراءة، ثم عندما تظهر عليهم العلامات يرتبط فعل القراءة بها..

90 بالمئة من الأشخاص برأيي هم فقط مجانين لأنهم عقلاء أكثر من اللازم بالنسبة إلى المجتمع.. عندما يبدأ الإنسان بالخروج عن السائد والمعتاد ويفكر بطريقة مختلفة يبدأ وصف الجنون يشابه وصف الغرابة أو الاختلاف.. وهذا برأيي جزء كبير من الذي يحصل في مجتمعاتنا.. فتخيّل أن الشخص الذي تكلّمت معه، وهو في سن

الأربعين، ولد وترعرع على قناعات لم يتخيّل يومًا أنه يشكّ فيها أو في صحتها، ثم فجأة أخبره بضدّها أو بعدم صدقها أو وجودها من أصله.. فمن الطبيعي أن يصف الإنسان الذي يقول بهذا الكلام بالمجنون.. حدثت كثيرًا في التاريخ وما زالت تحدث.. والكتب هي مصدر المعرفة المختلف.. مختلف عن كلام آبائنا ومعلّمينا..

الكتاب يشحننا بالمعرفة، والمعرفة تدفعنا نحو التفكير، والتفكير معول هدم كما هو طوب للبناء.. ليس الهدف من الكتاب هو تخديرنا أو تسليتنا فقط.. وليس هو شيء نمرّ عليه هكذا كما نحن.. هو تجربة لا بد أن تضع فيك شيئًا جديدًا أو تصنع منك، كما يقول فرانسيس بيكون، إنسانًا أفضل.. يقول فرانز كافكا الكاتب السوداوي العظيم:

«على المرء ألا يقرأ إلا تلك الكتب التي تعضّه وتخزه، إذا كان الكتاب الذي نقرأه لا يوقظنا بخبطة على جمجمتنا فلماذا نقرأ الكتاب إذًا؟ كي يجعلنا سعداء كما كتبت؟ يا إلهي.. كنا سنصبح سعداء حتى ولو لم تكن عندنا كتب، والكتب التي تجعلنا سعداء يمكن عند الحاجة أن نكتبها. إننا نحتاج الى الكتب التي تنزل علينا كالبلية التي تؤلمنا، كموت من نحبّه أكثر ممّا نحب أنفسنا، التي تجعلنا نشعر وكأننا قد طُردنا إلى الغابات بعيدًا عن الناس، مثل الانتحار. على الكتاب أن يكون كالفأس التي تهشّم البحر المتجمّد في داخلنا، هذا ما أظنه»[1].

من المضحك أن يظن الناس أن الزيادة في التعلّم أو المعرفة تضرّ.. القراءة هي النبع الوحيد الذي يسقي ولا يشبع.. قال سيدنا علي ابن أبي طالب: كل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فإنه يتّسع..

---

(1) في رسالة إلى صديقه أوسكار بولاك 1904.

عمومًا إذا أخبرك أحدهم أنك قد تجنّ من كثرة القراءة.. فاضحك في وجهه حتى يتأكد أنك بالفعل مجنون! ويا حظك بهذا الوصف. فالجنون فنون..

(عبد المجيد)

4

ما لا نراه لا يوجد

الخرافة: القراءة ليس لها مردود على الجسد

هـل تصـوّر أحدكـم أنـه من الممكـن أن يكون تأثيـر الكتاب مثل النادي الرياضي أو المشفى؟ هل تصوّرتم أن القراءة تخفّف من الإصابة بمرض السكر أو الضغط؟ وأنها قد تساعد في حل مشاكل السمنة؟

هـذا مـا تؤكـده دراسـات متعـدّدة من بينها دراسـة أجرتهـا جامعة بنسـلفانيا الأمريكيـة علـى عيّنـة مكوّنـة من 1800 شـخص يقرأ نصفهم القصص والروايات والمراجع المتخصّصة بصفة منتظمة، بينما لا يهتم النصف الآخر بالقراءة. وتم عمل فحص طبي شامل لهؤلاء الأشخاص، فتبيّن أن الذين لا يقتربون من الكلمة المطبوعة يعانون من عدة أمراض مثـل ضغـط الدم والسـكر والسـمنة والقولـون العصبي وقرحـة المعدة والقلـب، بالإضافـة إلـى المتاعب النفسـية المختلفة مثـل القلق والتوتر وفصام الشخصية وغيرها..

أما هؤلاء الذين يقرأون فقد كانوا أكثر صحة حيث تقلّ بينهم نسبة الإصابة بهذه الأمراض بصورة واضحة. وبعد مرور عام كامل تم توقيع الكشـف الطبي مرة أخرى على كل أفراد العيّنة فاكتشـف فريق البحث تدهور صحة المجموعة التي لا تقرأ مع حفاظ أفراد المجموعة الأخرى على قوّتهم وثبات حالتهم الصحية على ما هي عليه[1].

(1) القاهرة - تحقيق سيد عبد المنعم. صحيفة الوسط التونسية.
http://www.tunisalwasat.com/wesima_articles/family-20060707-1275.html

بل وصل الموضوع إلى أكثر من هذا. فقد تم تدشين علم العلاج بالقراءة، وأصبح علمًا معترفًا به من قِبَل كل الأوساط العلمية.. بحيث يستطيع الطبيب عن طريقه أن يعطي للمريض روشتة قراءة.. ثم يقوم أمين المكتبة بصرفها له..

عندما ندرك ارتباط وتأثير الأبعاد الأربعة عند الإنسان (العقل - الجسد - الروح - النفس) لن نستغرب بعد ذلك علاج ودوائية القراءة على الجسد.. والمثل يقول: العقل السليم في الجسم السليم.. المشاعر والأفكار لها تأثير هرموني.. فمثلاً نعرف أن الدوبامين يؤثر في سعادة الإنسان، وأن السكّر يزيد من نشاط الإنسان، والسكّر نفسه من الممكن أن يزيد وينخفض بالمشاعر والأفكار المصاحبة له..

باعتبارِ أن كثيرًا من الأمراض العضوية هي نتيجة اضطراب نفسي للمريض وأن الأفكار السلبية لها تأثير على النفس، يأتي هنا دور القراءة وسبب فاعليتها..

فالقراءة توفر لك العزلة التي تبعدك عن ضغوط الحياة، تجعلك ترى الأمور بمنظور جديد، تكتشف خلالها المعلومات التي من الممكن أن تحل لك مشاكلك. وتأثير هذا كله هو التخفيف من الضغط النفسي عليك وإعطاؤك السعادة والراحة النفسية..

يقول الدكتور وليد فتيحي: «أطلقت منظمة الصحة العالمية اسم طاعون العصر على مرض التوتر، المرض القاتل الخفيّ. التوتر يؤدي إلى 70-80 بالمئة من جميع الأمراض الجسدية التي يعاني منها الإنسان. والسبب الرئيسي لهذا التوتر هو قراءة الإنسان للحدث، لأن الحدث بحدّ ذاته لا يؤدّي إلى التوتر، وإنما قراءة الإنسان للحدث هي التي تجعله يؤمن أن هذا الحدث يدعو للتوتر أم لا. طريقة قراءة

الإنسان للأحداث يمكن أن تصحَّح وتصبح إيجابية عن طريق مفتاح رئيسي وهو القراءة، القراءة المفيدة. قراءة التاريخ مثلاً.. عندما يقرأ شخص في التاريخ ويقرأ سنّة الله في الكون وسنّة الله في الناس يعلم أن كل هذه الأحداث التي تمرّ به هي مؤقتة وتتغيّر. والقراءة الإيجابية للأحداث تجعل العقل قويًّا، مثل العضلات القوية، يستطيع أن يدافع عن الإنسان ويحوّل كل شيء سلبي إلى إيجابي. وبذلك يحمي جسده من 80 بالمئة من الأمراض الخطيرة...».

نحتاج أن نوسع نظرتنا قليلاً تجاه القراءة بحيث نراها بشمولية أكثر.. نرى فاعليتها وتأثيرها على الجسد وما وراء الجسد أيضًا.. يقول المفكّر الكبير جودت سعيد في كتابه «اقرأ وربك الأكرم»: «إن الصلة بالكتاب تغير من سحنة الإنسان، ومن توتر عضلاته، وسمات وجهه. والذين يفقدون الصلة بالكتاب يفقدون السلطان ﴿... **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**...﴾ [المنافقون: 4]، ذلك أن بلوغ مرحلة التقويم الحسن للإنسان التي تفضل الله بها، لا يتمّ إلا عن طريق الصلة بالكتاب، فيا أيها الإنسان إن ربك الكريم، الذي رفع من قدرك، ومن خلقك وتسويتك وتعديلك، غيّر من شأنك بالقلم والكتاب ﴿... **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**...﴾ [الزمر: 9]».

هناك كثير مما لا نراه في أثر القراءة علينا.. فأحيانًا يكون هذا الأثر لحظيًا، وأحيانًا يكون العلاج قد زُرِع كخلية مناعة في داخلنا.. في جذور وعينا.. فالقراءة كلها كلمة طيبة.. كالشجرة الطيبة.. تؤتي أُكلَها كل حين..

(عبد المجيد)

5

البلاي ستيشن هواية ممتعة أكثر

الخرافة: القراءة مجرد هواية

في إحدى دوراتي عن القراءة وبعد الانتهاء من تقديمها أتتني إحدى السيدات ومعها ابنها.. وأخبرتني أنها تتمنّى أن يصبح ابنها قارئًا نهمًا ولكنه يرفض كلما أعطته كتابًا ويقول لها: «أنا أحب البلاي ستيشن أكثر.. هو هوايتي المفضلة»..

وفي مرة قابلت صديقًا لصديقي عرّفني عليه على العشاء.. وبعد تناول العشاء أخبرته عن القراءة وما هو آخر كتاب قرأه (السؤال النموذجي لمجتمع القراء).. فقال: «القراءة ليست من هواياتي.. هوايتي المفضّلة هي الغوص»..

الآن المشكلة تكمن في منطق التفكير نفسه.. فإذا كانت فكرة أن القراءة هواية فتصبح هذه الإجابات منطقية.. لأن الهواية منطقة ثانوية من ناحية الأهمّية لدى الإنسان، فهو حرّ في أن يستبدل بها أي شيء آخر يروق له..

بالتالي إذا زرعت الفكرة هذه في رأس الصغير كالمثال الأول فهو معه حق في إجابته ولن يجد الوالدان مخرجًا من هذا الجدال.. وإذا تربى على هذه الفكرة وكبر عليها كالمثال الثاني فتصبح المشكلة أكبر لأنه مقتنع بمنطقه أن الهواية شيء اختياري وحرية شخصية، بالتالي قد لا تكون بالفعل القراءة إحدى الهوايات..

يا سادتي.. القراءة ليست هواية. أي شيء يكون في منطقة الهوايات فهو ثانوي، أي يمكن استبدال شيء آخر به لأنه ليس حاجة أساسية..

لذلـك لا يمكـن أن تكـون القـراءة هوايـة.. كيف لشـيء يكسـبك معنى الإنسانية ويطوّرك معرفيًا ويهذّبك وجدانيًا ويعرّفك بالعالم المحيط أن يكـون ثانويًـا.. هـذه إحدى المشـاكل أو المفاهيم الخاطئة في المجتمع الذي يلد جيلاً لا يهتم بالقراءة كضرورة أو يكرهها أحيانًا.. القراءة ليست هواية. هي حاجة أساسية.

يقـول الدكتـور سـاجد العبدلي فـي كتابه القراءة الذكيـة: «تحدّث الكاتب عبد الله المهيري عن هذه المسألة فكتب يقول: هل نذكر التنفس ضمن قائمة هواياتنا؟!».

سـؤال غريـب: أدرك ذلـك تمامًـا! مـاذا لو سـمعنا أحدهـم يقول: هوايتي المفضلة هي الأكل؟! سـنضحك ونأخذ منه هذه الكلمات على أنها نكتة طريفة يريد بها أن يؤنسنا في هذا الزمان النكد، أو حقيقة طريفة خصوصًا إن كان من أصحاب الأجسـام الممتلئة! بالتأكيد ستسـتغربون هذه الفلسفة.

لماذا؟

لأن هذه الأمور عادات أو أفعال ضرورية طبيعية لكل إنسان ولكل كائـن آخـر. وكذلـك أرى أن القـراءة أمـر ضـروري لكل إنسـان، تمامًا كالتنفـس والأكل لا غنـى عنهمـا. بل والقراءة أمر يتميّز به الإنسـان عن باقي المخلوقات. فلذلك أرى أن القراءة ليسـت هواية مطلقاً.. القراءة أمر ضروري ولا نستطيع أن نعتبرها هواية نمارسها متى نشاء...

(عبد المجيد)

6

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

الخرافة: التجربة والممارسة العملية أهم من القراءة

نسمع هذه العبارة أحيانًا؛ التجربة والممارسة العملية أهم من القراءة، ونسمع أيضًا عبارة شعبية مرادفة لها؛ «العلم في الراس مش في الكرّاس». هاتان العبارتان، اللتان يريد منهما القائلون التقليل من شأن الكتب والقراءة غالبًا، هما من قبيل الحق الذي يُراد به باطل.

نعم صحيح ولا شك أن التجربة والممارسة العملية مهمّتان جدًا. ولذلك تشترط على سبيل المثال، أغلب، إن لم تكن كل، دوائر الأعمال على من تريد توظيفهم للعمل في المناصب الرفيعة والوظائف الدقيقة الحساسة أن تكون لديهم شهادات معتمدة للخبرة العملية. وصحيح كذلك أن المعرفة والعلم هما نتاج لما يثمر في العقل من عمليات التفكير والتأمّل والتقليب والنظر، وليس نتاجًا لمجرد النظر إلى السطور المطبوعة في الكتب والكراريس. لكن، وإن كنت أعترف وأقرّ بهذا، إلا أنني أقول إن للمسألة تفصيلاً مهمًّا لا يمكن أن نتجاوزه أبدًا. أولاً، وحتى أكمل جزئية حرص دوائر الأعمال على توظيف من يحملون شهادات الخبرة سأقول إن من النادر، بل لعلّه من المستحيل، أن تجد أيًّا من هذه الجهات قد اكتفت بهذه الشهادات دون أن تكون طلبت قبلها الشهادات الدراسية التي تثبت بأن المتقدّم للوظيفة قد أمضى سنين معتبرة من عمره وهو عاكف على القراءة والتعلّم في المجال التخصّصي المطلوب، وذلك لأنهم يدركون تمامًا أن خبرة الشخص وممارسته العملية مهما كبرتا واتسعتا فلا يمكن لهما بحال

مـن الأحـوال أن تحيطـا بـكل أبعاد العلم المقصود، وهـي الأبعاد التي قـد أفنـى العشـرات من العلماء والكتّاب سـنوات طويلـة من أعمارهم لرصدها وجمعها ونقلها في ما خلّفوه من تراث مكتوب، وهو ما يجب الاطلاع عليه وقراءته.

نعم، لا شـك بأن فائدة الممارسـة العملية والتجربة الحياتية جليلة من حيث وضعها الأفكار النظرية التي قد يستقيها القارئ من الكتب في محل التطبيق العملي حتى تثبت وترسخ في عقله، ولكن لا يمكن مطلقاً لطالـب المعرفـة أن يتجاوز المرور على جسـر القـراءة والكتب، مكتفيًا بالقول إن التجربة والممارسـة العملية أهم، وحتى لو اسـتطاع بعض أن يبلـغ مبلغًـا جيـدًا في مجال من المجـالات المعرفية دون الاطلاع على الكتـب، فإنـه فـي الحقيقة قد أهـدر وأضاع كثيرًا من الجهد والوقت في التجربة والخطأ بحثًا عن الإجابات، في حين أنه كان من الممكن له أن يجد تلك الإجابات في كتب مَن سبقوه في هذا المجال المعرفي ممّن كتبوا ووثّقوا أفكارهم وتجاربهم.

والـكلام ذاتـه ينطبق على التجارب الإنسـانية العامة، فعلى الرغم مـن صحـة القـول بأهميتها كممارسـة عملية، لكن تظـلّ للكتب قيمتها السـابقة لذلك، لأنها خلاصة لمعارف وتجارب العشـرات من الكتّاب عبـر قـرون مـن الزمان، أتت للقارئ مسـتخلَصة مصفّاة على أطباق من فضّة اسـمها الكتب، ليسـتقيها الطالب اللبيب فتشـعل في عقله وفكره آلاف الأنوار.

نعم، «العلم في الراس، مش في الكرّاس»، لكن ليس بمعنى أن لا حاجة للكتب، لأنه لو صحّ ذلك لما خرج العلماء والعارفون والحكماء من أرحام المكتبات، ومن بين رفوف الكتب. العلم في «الراس» بمعنى

أن أنوار العلم والفكر تشـتعل في العقل بعدما تنطلق شـراراتها المضيئة من سطور الكتب والكراريس، ولا شيء يعدل النظر في الكتب لإشعال أنوار العقل.

(ساجد)

7

الوحدة هي مصيرك المنتظر

الخرافة: القارئ شخص انطوائي

التصنيف أسـهل ما يقوم به البشـر، بل دعنا نقول الدماغ البشـري، تنميط الناس بين اليمين والشـمال أو الأبيض والأسـود يريح العقل من محاولـة فهـم الواقع.. فوصف القـارئ بالانطوائية يبرّر كثيرًا من الأمور ويجيب على أسئلة كثيرة مثل:

لمـاذا لا يحـب هـذا الشـخص الخروج؟ لماذا لا يندمج مع شـلّة الأصدقـاء؟ لمـاذا لا يتكلـم فـي الكورة والسـيارات؟ ولمـاذا ليس لديه كثير من الأصدقاء؟

صحيح.. إنه شخص انطوائي ويحب القراءة..

أصبحت القراءة كأنها لعنة قد تصيبك بالانطوائية.. فإذا دخلتَ في عالم القراءة فسوف تقطع صِلاتك مع العالم الخارجي ومع أصدقائك وتصبح في البيت دائما تقرأ.. القراءة تعزلك..

غير صحيح..

ليسـت القـراءة هـي السـبب فـي خلق حواجـز بينك وبيـن الحياة الاجتماعية، بل هي قرارات شخصية تتعلق بالظروف ونوعية الشخصية نفسها. القراءة الآن في هذا العصر تقترب أكثر وأكثر من أن تكون نشاطًا اجتماعيًا وجماعيًا..

فنـوادي القـراءة تمـلأ العالـم من حولنا، وهـي عبارة عن مجموعة كبيـرة مـن الأشـخاص يقرأون بعضهم مع بعض وبشـكل جماعي كتابًا معيّنًـا ويتناقشـون فيـه. بينهـم تواصل وصلات ونقاش فكري ومشـاعر

يجمعهم عليها الكتاب.. وكأن الكتاب يصبح حلقة وصل بين الناس والعالم أيضًا. فهناك بعض النوادي تضمّ مشتركين من حول العالم ومختلف الثقافات مثل النوادي الإلكترونية..

ما أجمل النقاشات بين الناس حول الكتب.. فنقاش حول كتاب يتحوّل إلى صداقة وإلى حلّ لمشكلات نفسية وإلى زواج أحيانًا مثل حالتي!..

هذه النقاشات تطوّرت وتوسّعت أكثر وأكثر بمساعدة شبكات التواصل الاجتماعي، بل هناك مواقع مخصّصة لمثل هذه النقاشات مثل www.goodread.com..

المشكلة الآن أن بعض الناس لديهم تصوّر (صورة نمطية) عن القرّاء بأنهم كائنات معزولة لا تمارس نشاطات طبيعية.. وهذه الصورة مع الأسف حاجز يؤثر ويعيق عزيمة القراءة. تخيّل أن تحاول إقناع شخص بالقراءة.. من مجرّد ذكر الكلمة له ستظهر في رأسه هذه الصورة السلبية.. بالتالي ماذا سيكون ردّ فعله.. سيقول لك.. شكرًا أنا لا أريد أن أعتزل العالم.. أنا شخص اجتماعي..

إن انتشار هذه الصورة الآن ليس غريبًا إذا كانت نسبة القرّاء في المجتمع قليلة، وتصبح القراءة هي الحالة النادرة.. بهذا الشكل يصبح القرّاء وكأنهم في حالة غربة عن المجتمع السائد، ويلصق المجتمع بهم صفات قريبة من فكرة الأقلية.. وحيدين.. غريبين..

أعيد وأكرّر بأن هذه الصورة النمطية غير الصحيحة تؤثّر في المجتمع وتعيق نشر عادة القراءة..

الصورة الحقيقية.. هي أن القارئ إنسان طبيعي يحاول تطوير نفسه ومجتمعه.. القراءة هي أداة لتنمية إنسانيته.. وهي الأداة للوصول إلى

الكرامـة والتكريـم كمـا ربطهـا الله عزّ وجلّ به حينما قـال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3]..

الصورة الحقيقية للقارئ.. أنه إنسان بسيط.. يخرج ويتمشّى ولديه أصدقـاء.. واقعـي.. يحـاول أن يفهـم محيطـه حتى يتعامـل معه بطريقة أفضل.. إنسان منفتح على التجارب والحياة.. إنسان مستمتع بالحياة..

حتى على مسـتوى فعل القراءة، فأنت أيضًا لسـت وحدك. يقول المفكر الكبير زكي نجيب محمود:

«ألا ما أسرع ما ينسى الناس أن الكتاب المقروء هو إنسان يتحدث إلـى قارئـه بأحسـن مـا عنده من مادة للحديـث! إن الوحدة العددية لمن يعتكف، وأعني حين يكون الإنسـان في هدوء عزلته، ليسـت بالضرورة غربة يغترب فيها عن الناس وما يحيون به ويفكّرون فيه، بل إنها كثيرًا ما تكون الفرصة الذهبية للاتصال بخيرة الناس، يستمع إليهم في ما يقولونه شرحًا لأفكارهم وتعبيرًا عن وجدانهم، وإنها لأفكار، وإنه لوجدان، لم ينتزع من خلاء، بل استصفاه واستسقاه هؤلاء المؤلفون من صميم الحياة التي يحيونها في دنيا الفعل والتفاعل»[1]..

لا يوجد.. كائن انطوائي قارئ.. الإنسـان الحقيقي هو من يقرأ.. ولا ننسى أن أول آية نُزلت (للإنسان) في أول سورة هي ﴿اقْرَأْ...﴾..! وثاني آية نزلت للإنسان في ثاني سورة هي ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾!..

(عبد المجيد)

---

(1) حصاد السنين، ص 25.

8

لا أملك وقتًا للتنفس!

الخرافة: لا يوجد وقت للقراءة

فلنكن واقعيين.. نحن نعيش في عصر السرعة وعصر صعب اقتصاديًا. يحتاج الشخص أحيانًا للعمل فيه أكثر من عشر ساعات في اليوم حتى يغطي مصاريفه.. بالفعل أصبحت شوارعنا مزدحمة وتقتل الوقت.. بين النوم والعمل وقضاء الوقت مع الأسرة والمشاوير يصبح سؤال القراءة صعبًا..

لكن في الوقت نفسه نجد أننا من أكثر شعوب الأرض مشاهدةً لليوتيوب واهتمامًا بالرياضة وكرة القدم مشاهدةً.. نجد الوقت لمشاهدة الأفلام وقراءة الجرائد ولعب البلوت والبلاي ستيشن بالساعات.. نجد الوقت للذهاب إلى المقاهي والجلوس لساعات فيها.. بالفعل لا يملك الشخص في هذا الزمن الوقت للتنفس.. ولكنْ هناك وقت لنَفَس شيشة!..

سأنقل لكم بعض الأرقام المتعلّقة بالمجتمع السعودي كنموذج عربي لتأكيد وجهة نظري هذه:

كشف مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام عن دراسة حديثة تناولت قضية الشباب السعودي ومشكلات أوقات فراغهم بعنوان «الشباب السعودي ما بين 15 إلى 29 سنة». واشتملت الدراسة على 3150 شابًا وشابة في 15 مدينة سعودية، والتي قام بها عدد من الباحثين والمساعدين والفنيين.

وجاء في الدراسة الميدانية أن نحو 43،2 بالمئة من الذكور و36,9

بالمئة من الإناث لديهم وقت فراغ يتراوح ما بين 4 إلى 6 ساعات في اليوم. أما الذين لديهم من 7 إلى 12 ساعة فراغ في اليوم، وهي فترة طويلة، فقد بلغت نسبتهم 24,2 بالمئة من الذكور، مقابل 15,3 بالمئة من الإناث. وفي السياق ذاته تبيّن أن 28,1 بالمئة من الإناث و18 بالمئة من الذكور لديهم وقت فراغ يتراوح ما بين 2 إلى 3 ساعات في اليوم. ويتّضح من هذه الأرقام أن الذكور أكثر معاناة من مشكلة وقت الفراغ.

كما جاء في الدراسة أن الإناث يبدين تقديرًا أكبر لمشكلة وقت الفراغ، حيث أشار 33,3 بالمئة منهنّ مقابل 30,6 بالمئة من الذكور أن المشكلة «مهمة جدًا». أما الذين صنّفوا المشكلة «متوسطة الأهمية» فبلغت نسبتهم 24,7 بالمئة من الذكور مقابل 20,1 بالمئة من الإناث. وفي السياق ذاته أوضح 21,6 بالمئة من الجنسين أن المشكلة «قليلة الأهمية»، ومع ذلك فإن ما نسبته 20,3 بالمئة من الذكور و23,7 بالمئة من الإناث «لا يواجهون» مشكلة وقت الفراغ.

وفي ما يتعلّق بالأنشطة التي يمارسها الشباب خلال أوقات فراغهم فقد تبيّن أن «الأنشطة الاجتماعية» تحظى بنصيب الأسد؛ حيث أوضح 55,1 بالمئة من الشباب أنهم «يلتقون بأصدقائهم» خلال أوقات فراغهم، و45,7 بالمئة يقومون «بزيارة الأقرباء»، و32,7 بالمئة يمارسون «الدردشة بالهاتف» و24,3 بالمئة «يذهبون للاستراحات»، وأخيرًا 10,1 بالمئة «يرتادون المقاهي» علمًا أن بعض تلك الأنشطة تقتصر على الذكور ولا تنطبق على الإناث.

ومن حيث «الأنشطة الثقافية» فقد حلّت «مشاهدة التلفزيون» في المرتبة الأولى بما نسبته 56,3 بالمئة، ثم «استخدام الإنترنت» بنسبة بلغت 37,7 بالمئة ونسبة مقاربة «القراءة» يمارسها 37,3 بالمئة من الشباب،

وتأتي «الأنشطة الدينية» في الموقع الثالث حيث يمارسها 18 بالمئة من الشباب[1].

مـا أريـد قولـه بعيد أشـدّ البعد عن ترك هـذه الأمور والاعتزال في صومعة للقراءة.. ولكنني فقط أردت لفت الانتباه إلى أن المشكلة ليست فـي طبيعـة العصـر أكثر منها في طبيعة إدارتنا للوقت ولأولوياتنا.. يقول الدكتور عبد الكريم بكار إن 80 بالمئة من الناس يتذرّعون لعدم القراءة بأنهم لا يملكون الوقت..

لن أطيل في التأكيد على هذه الخرافة، فهي أوضح من الشمس.. لكننـي سـأضع بعـض النقاط الظريفة في مسـاعدتكم علـى إيجاد وقت للقراءة:

1. تحتاج أحيانًا للتضحية.. نعم إذا أردت أن تنمّي عقلك وأن تصنع من نفسك إنسانًا مبدعًا تحتاج بأن تستبدل ببعض الأوقات الخاصة بكرة القدم أو الأفلام أو المقهى أو أي شـيء من هواياتك حاجة أساسية ومفصلية في حياتك.. القراءة.
2. اصنعْ روتينًا.. حدّد لنفسك وقتًا معينًا في اليوم للقراءة والتزم به.
3. ضعْ لنفسـك هدفًا.. قراءة كتابين في الشـهر مثلاً أو عشـرين كتابًا في السنة أو أقل.
4. اصطدْ الأوقات البينية.. في السيارة (دائمًا شوارعنا مزدحمة) - في بعض الدوائر الحكومية (ستنتظر كثيرًا هناك) - في الحمام (راجع الموضـوع فـي كتابـي جنونـي مذهبي فـي القـراءة) - عند ركوب الطيارة أو الباص أو التاكسي.

(1) http://sabq.org/1tbfde
دراسة تؤكد: الشباب السعودي لديهم «فراغ» 12 ساعة يوميًا.

5. في وقت الفراغ ارمِ جوّالك في كرسـي الحمام!.. أصبح الجوال في هذا الزمن مثل المنوّم المغناطيسي الذي يقتل وقتك.
6. دائمًـا خـذْ كتابًـا معك.. حتى إذا لـم تقرأه لا يهمّ.. سـيذكّرك دائمًا ويثير فضولك.
7. اقرأ في المجال الذي تحبّه واهتمامك في هذا الوقت من السنة.
8. إذا شعرت بالملل من الكتاب ألقِ به من النافذة.
9. حاول أن تقرأ قبل النوم ولو عشر دقائق.. للأحلام السعيدة.
10. احكِ قصتك بعد تجربة هذه الأمور لشخص آخر واقضِ معي على هذه الخرافة.

وأخيرًا يقول الفيلسـوف الصيني كونفوشـيوس: «مهما كنت تظن نفسـك مشـغولاً، إذا لم تجد الوقت للقراءة سـتكون قد سـلّمت نفسك بيديك للجهل والنكران»..

(عبد المجيد)

9

وصفة شعبية لكلّ الناس

الخرافة: هناك كتاب صالح لجميع القراء

منذ مدة كان ابني يعاني من ربو مزمن. كنا نذهب به كل أسبوعين إلى المشفى لكي يأخذ جرعة أوكسجين.. هناك أدوية كتبها له الطبيب هي عبارة عن مسكّنات مؤقّتة ولكنها ليست فعّالة في القضاء على أزمته بشكل تام. خلال هذه الرحلة كنا نسمع عن كثير وكثير من الوصفات الشعبية السحرية. تقول خالتي: «ملعقة عسل على الصباح وحبة سودة»، والأخرى: «مريمية مغلية وقرنبيط مسلوق»، وأشياء أخرى عجيبة وغريبة. وعندما بحثت في صفحات الإنترنت وجدت أيضًا هذه القائمة من مقادير السحر الأسود، ولكن اتفق الأغلبية من أهلي وأيضًا من هم على الإنترنت بأن بيض الحمام الطازج هو الحل..

بالفعل أحضرته بعد مدة وأطعمته لابني عمر. خلال أيام بدأت تظهر أعراض غريبة على جلده، حبوب واحمرار، فذهبت به للطبيب لأكتشف أنه يعاني من حساسية تجاه البيض..

المقصد من هذه القصة الآن أنه ليس هناك علاج صالح لكل الناس، تمامًا مثل الكتب، لا يوجد كتاب صالح لكل الناس..

لكلّ مشكلة حل مناسب لها ولظروفها ولطبيعتها. نحن كبشر لا يمكن أن تتطابق ذواتنا ولا أن يتطابق تكويننا الداخلي.. ذاكرتنا وخبراتنا وتجاربنا وفهمنا للواقع وذوقنا الخاص..

بالتالي عندما نقرأ نحن نُسقط هذه الكينونة على مادة الكتاب ونخرج بمنتج جديد من المعنى. هذا المعنى لا يمكن أن يتطابق مع أي

قارئ آخر.. يقول إدموند ويلسون: «لا يوجد اثنان يقرآن الكتاب نفسه»..

لذلك عندما يعبّر شخص عن تجربته مع كتاب معيّن فهذا لا يعني أن الكتاب صالح لك. وكم هي المرات التي تحدّثت فيها عن كتاب كنت أظن أنه كوني، وبعد نقاشي مع الآخرين أكتشف أن بعضهم وجده سيئًا، وآخر لا بأس به، وثالث لم يستطع إكماله..

أحيانًا يكون السعي نحو الكتاب الذي يفضّله الجميع مضيعة للوقت لأنك تكتشف بعد مدة أنه لا يخدم أهدافك الشخصية أو حاجتك في هذا الوقت.. لذلك اقرأ ما تحب وما تحتاج.. هذا هو الهدف السامي.. ولا تتأثر بآراء الآخرين حول قراءتك لكتاب معيّن الآن..

أنت هو الوحيد الذي يعرف احتياجاته وأولياته..

قاعدتي الذهبية في النصح بالكتب هي أن تعرف شخصية من أمامك وما هي احتياجاته حتى تقدم له ما يفتح عليه آفاق التغيير.. في القراءة فقط تصبح القاعدة: أحببْ للآخرين ما يحبونه لأنفسهم، لا ما تحبّه لنفسك..

في علم العلاج بالقراءة يستندون إلى هذه الفكرة، وهي معرفة نقاط الضعف والقوة وتفضيلات وذوق الشخصية التي تريد أن تقرأ، بحيث يقدّم المعالج الكتاب المناسب له حتى يكون الكتاب كالطعم الذي يجلب القارئ إلى عوالم القراءة اللامتناهية..

بالفعل ليس هناك كتاب صالح لجميع القرّاء.. بل هو الكتاب المناسب للشخص المناسب في الوقت المناسب..

وكما حدث لابني عمر عندما أُصيب بالحساسية، أيضًا قد تصاب أنت أو يصاب شخص بحساسية تجاه القراءة عندما تقرأ كتابًا غير صالح لك بالذات عند بداية طريقك نحو عالم القراءة..

وقد حدثت لي تجربة مشـابهة عندما جاءني الفضول للقراءة وأنا فـي مكتبـة أبـي، فاخترت أن أقرأ كتاب «الـروح» لابن القيّم، وقد كانت تجربة مؤلمة لأنني لم أفهم الكثير ولم أشعر بتلك المتعة أثناء قراءتي. تكوّنت لدي صورة سـيئة عن القراءة، وشـعرت أنها تناسـب شخصيات معيّنة وأنا لست منهم..

يقول وولتر بوب: عندنا يشـتري المرء كتابًا لا لسـبب إلا أنه من إصدار ناشر/ كاتب معروف فهو كالشخص الذي يشتري ثيابًا لا تناسبه ولكنها من صنع خياط مشهور..

وتذكّروا أننا نفضّل شخصيات بعينها عندما نختار أصدقاءنا، وبين الكتب والأصدقاء تقول الحكمة: «لا يشـكل حياتنا عبر السـنين سـوى الكتب التي نختار قراءتها والأصدقاء الذين نبقى معهم»..

(عبد المجيد)

10

مهدَّد بالانقراض!

الخرافة: التكنولوجيا ستقضي على الكتاب

التهديد بالانقراض شيء بالنسبة للكتاب، وأن يختفي بصورته الورقية شيء آخر تمامًا.. الذي نحن متأكدون منه هو أن الكتاب لا ينقرض أبدًا، فهو أفضل وعاء وحاوٍ للمعرفة قد عرفته البشرية يومًا.. إنه في صلب الوجود.. أو دعنا نقول في صلب العقل الإنساني.. فنحن نرى كل شيء ككتاب.. أو في كل شيء كتاب..

تمتلئ صفحات الإنترنت والصحف والاجتماعات الثقافية بقضية التحوّل التكنولوجي الذي نمرّ به، وكيف أنه سيطال الكتاب ويقضي عليه.. وبرأيي هذه خرافة كبيرة.. فحتى الكتاب الورقي لن ينقرض قريبًا، بل ما زال لديه كثير من الوقت.. يقول روبرت دارنتون في كتابه «الكتاب بين الأمس واليوم والغد»:

«لقد سمعنا هذا التوقع تكرارًا منذ تصميم الكتاب الإلكتروني الأول في العام 1945، ذلك الجهاز المزعج والبشع الذي كان يدعى memex، ولكن منذ ذلك الوقت، فإن موت الكتاب التقليدي قد أُعلن مرارًا، لدرجة أنّنا لم نعد نقلق من فراغ رفوف المكتبات يومًا. واليوم وبعد أن أصبح معظم الأميركيين يستخدمون الكمبيوتر، أمسوا ينتجون ويستهلكون ورقًا مطبوعًا أكثر من أي وقت آخر».

وحتى بيل غيتس رئيس مايكروسوفت، اعترف مؤخرًا في محاضرة له أنه يفضّل الأوراق المطبوعة أكثر من شاشات الكمبيوتر للقراءات الطويلة:

«لا زالت القراءة على الشاشة أدنى مستوى كثيرًا من القراءة على الورق، حتى أنا الذي أملك هذه الشاشات الثمينة وأتصوّر نفسي رائدًا في دنيا الويب، عندما يأتي الوقت لقراءة أكثر من خمس صفحات، فإني أقوم بطباعتها لأنني أحبّ أن أمسكها وأتجوّل بها وأعلّق على مضمونها كتابةً، ولا شك أن هناك عقبة تقنية كبيرة للوصول إلى هذا المستوى»..

وهذا غير الإحصائيات والدراسات الكثيرة التي تقول إن الطلاب ما زال يفضّلون الكتاب الورقي على الإلكتروني.. ولكن ليست القضية أيهما أفضل، بل هي أننا كبشر نرتعب لحظة التفكير في اختفاء الكتاب، وهذا المبرّر الوحيد الذي يجعلني أفهم لماذا كل هذا الصخب حول القضية.. وكما أخبرتكم من قبل لن يتخلّى الوجود عن الكتاب، كما الإنسان..

المؤكّد هو أن نوع القالب الذي يكوّن الكتاب سيتغيّر.. الورق بدأ يُتعِب الطبيعة، فهناك كثير من الدول والشركات التي تلجأ إلى قطع الأشجار لتصنيع الورق وهذا يضرّ النظام البيئي للأرض.. غير أن إتلاف الكتب نفسه مكلف.. والكتاب الورقي يأخذ حيزًا كبيرًا من المكان.. وانتقاله بطيء.. والكثير الكثير من السلبيات مقابل الكتاب الإلكتروني.. بالطبع أنا لن أرفض التطوّر، فقد أثبتت لنا الطبيعة عبر التاريخ أن من يرفض التطوّر ينقرض.. لذلك اهدأوا قليلاً وتقبّلوا التغيير، فأنا أول من قاومه ولكنني الآن بدأت القراءة في بعض الكتب الإلكترونية.. لكن هل سأتخلّى عن الكتاب؟.. برأيي إن البشرية ليست مستعدّة بعد للإجابة.. وهل سأتخلّى عن الكتاب الورقي بعد هذا الكلام كله؟.. بالطبع لا.. لأنه لا يوجد تناقض بين الاثنين.. فالتكنولوجيا إضافة وليست إزالة، وهي امتداد للإنسان وليست قطيعة..

(عبد المجيد)

11

البحث عن المتعة

الخرافة: القراءة مملّة

الملل صديق التكرار.. كل شـيء مكرّر يُكسـب الإنسـان شـعورًا بالمرارة والتنميل والملل.. والقراءة بطبيعتها مستحيلة، أي أنها من حال إلى حال وممتنعة عن الثبات أو الموضوعية.. هذه مقدمة غير موضوعية تقول إن هناك بعض الكتب المملّة وهناك بعض الأشخاص المملّين.. ولكن أن تكون القراءة مملّة فهذه خرافة.. دعوني أفسّر لكم..

عمليـة القـراءة هـي عبـارة عن طرفيـن (باختصار متطـرّف) كتاب وقارئ.. كلا الطرفين هو من يخلق وجود القراءة ويطبع جوّها..

أقـدّم اعتـذارًا للقـراء حول تصريحي في كتابي «جنوني مذهبي في القـراءة» بأنـه لا توجـد كتب مملّة وبأن القـارئ هو المملّ الذي يعكس ملله على الكتاب..

فـي الحقيقـة هنـاك كتـب مملّـة.. وكل شـخص لديـه لائحـة من التجارب السـيئة مع هذه الكتب التي لن ينسـاها.. فلا يوجد أسـوأ من أن تنسـجم في عالمك القرائي ومكانك الذي تقرأ فيه.. تعدّل الإضاءة وتجهّز الكرسي ثم تعدّ قهوتك وتخبر نفسك ومن حولك بأنه هذا وقتي الخاص مع الكتاب. تريد الانقطاع عن العالم الذي يبدو فوضويًا بقليل من النظام المعرفي، تشتمّ رائحة الورق.. تلمس الكتاب ويقشعرّ بدنك.. يفور الأدرينالين في دمك لحظة فتح الكتاب.. ثم..

يمرّ الوقت.. وتمرّ الصفحة..

لا شـيء يتغيّر.. لا تشـعر بالسـحر أو الخيمياء التي تعطيك شعور النشوة..

لا إضافة جديدة.. أو رؤية جديدة للكون من حولك..

لا تكتشف جديدًا عن كينونتك ومشاعرك وذاتك..

لا تجـد قـارب الانسـيابية ينتظـرك لتبحـر فـي تيـار التماهـي مـع الشخصية..

تعـود الفوضـى مـن جديد إلى عالمك.. وبعد عودتك تبقى معاني الأشياء من حولك كما هي..

تبًا.. لكلّ للكتب المملّة..

يقول جيورجي ليغيتي: لا اقرأ الأشياء المملّة فالحياة قصيرة..

ترتبـط مشـكلة الكتـب المملّـة بالكاتـب.. طبعاً لأنه هـو من كتب الكتاب.. (أتمنى أن لا تكون هذه حالتي الآن!).. وتتعدّد الأسباب حول الكتابـة المملّـة.. نقـص الأدوات أو ضعـف الفكرة أو اختفاء الموهبة أو عدم المصداقية والشعور، أو أحيانًا تصميم الكتاب.. ويقول أنيس منصور: «إذا أحسّ القارئ بشيء من الملل، فمعنى ذلك، أنه قد تعب.. وأن كل حيَل المؤلف لم تعد قادرة على فتح عينيه وشهيته، فليقفل الكتاب فورًا.. ولينظر إلى شـيء آخر.. أو يقلّب في كتاب آخر».. ولكن يكفينا هنا أن نوضح الطرف الأول / السبب الأول من المعادلة (الكتاب).. ونقول إنه توجد كتب مملّة.. ولكن ليست القراءة هي المملّة..

وبالنسـبة للقـارئ سـأقتبس هـذا النص من كتابـي «جنوني مذهبي فـي القـراءة» من فصل «سـيكولوجية الكتـاب المقرف»: «نحن نعلم كما قلـت سـابقًا أن الإنسـان لديـه أبعـادٌ مختلفة تتحرك كلهـا بتناغم في أي سلوك يقوم به.. وعلى ذلك فإن المستقبِلات لكل بُعد هي التي تجمع

المعلومات والمشاعر وتخزّنها، ثم أنت من تقوم بمعالجتها وفق مفاهيمك ومعانيك الخاصة.. وسنذكر مثالاً لتوضيح الحالة، لكن أولاً علينا فهم هذه العجلة الدوّارة في كيانك: إن أي أثر يترك على المنطقة الذهنية أو العقلية يتبعها أثر على كل الأبعاد الإنسانية الأخرى.. وهكذا أيضًا بالنسبة لأي أثر يبدأ في أي منطقة.. فلنبدأ بمثال: نفرض أن القارئ يحتوي على ضعف تكوين لغوي وتسطيح في المعنى.. وطبقًا للقانون سيرسل الأشعة التي تحتوي على هذه المكوّنات إلى الكتاب ويقوم الكتاب باستقبالها على سطحه ومن ثم معالجتها وفق معادلاته وقوانينه هو.. إلى تعقيد وعمق مظلم.. ثم يرسلها إلى القارئ ويفهم القارئ أن الكتاب معقّد وعميق جدًا. وكما في مفهوم العجلة سوف ينتقل هذا الأثر إلى البعد النفسي ويتم تحويله وفق مفاهيمه أيضًا إلى أن (الضعف + التسطيح = ((الملل + الألم)..

حيث إنه ملل من التعقيد بأن القارئ لا تنتعش نفسه بمعلومة جديدة أو اكتشاف جديد ولو في البعد المشاعري.. وألم بحيث يشعر بأن القراءة مقياس لضعفه المعرفي.. فترتبط القراءة بالألم.. وبعد ذلك ينتقل الأثر إلى البعد الجسدي ويستقبلها الجسد ثم يترجمها إلى توترات جسدية. قانون التوافق الجسدي - القرائي يتمثل في العلاقة بين الجسد وفعل القراءة من حيث الوضعية والتحرك الجسدي.. حيث يعمل وفق قانون التوترات الذهنية والنفسية التي تؤدّي إلى توترات جسدية.. وهنا تصبح وضعية القراءة مصدر الانزعاج الجسدي، فتبدأ الحركة بالتململ يمينًا ويسارًا، ويبدأ **قانون التوافق الجسدي - القرائي** بالتدخل ممّا يؤثر في عضلات الوجه أيضًا بسبب محاولة الفهم والانزعاج النفسي. وهكذا في معادلة جدلية ذهابًا وإيابًا حتى يبدأ الجسد يتعب ويصبح مصدر

تشـويش وتوتّـر إلـى أن ينهـار قرائيًا، أي يرفض أن يمسـك الكتاب بأي وضعيـة.. تنافـر جسـدي - قرائـي.. وأخيرًا تذهب هـذه المؤثرات كلها وتجتمـع عنـد منطقـة الروح وتتمّ ترجمتها في كبسـولة إيمانية تُزرع في كيان الإنسـان يتغيّر اسـمها من شـخص إلى شـخص ومن حضارة إلى حضارة.. وفي حالتنا سميناها الكتاب المقرف/ الملل.. أي إيمان داخلي بقرف/ ملل الكتب».

أرجـو أن تكـون فكرتـي وضحـت بـأن القـراءة بحدّ ذاتها ليسـت مملّـة.. بـل أطـراف المعادلـة هم من يصفوهـا بالمملّـة.. لطالما كانت القـراءة مصـدر سـعادة ومتعـة كمـا يقول تومـا الكمبيسـي: «بحثت عن السعادة في كل مكان ولم أجدها إلا في زاوية ومعي كتاب»..

وأقدم لكم بعض الخطوات البسـيطة في التغلّب على كتاب مملّ أو حالة ملل أثناء القراءة:

1. حاولْ أن تقرأ ملخّص الكتاب فقد تجد فيه بعض المعلومات التي تشدّك.
2. اقرأ في كتب مختلفة في الوقت نفسه.
3. اسألْ أصدقاءك أو مجتمعات القراءة عبر الإنترنت عن الكتاب.
4. قسّـمْ قراءتـك علـى دفعات.. وكافئ نفسـك بعـد الانتهاء من كل دفعة.
5. لا تجلسْ في مكان واحد عند القراءة.. اقرأ في السيارة في الحمام في المول.
6. تناولْ وجبة خفيفة محبّبة أثناء القراءة.
7. ابتعدْ عن الجوال والتلفزيون المفتوح.
8. حاولْ أن تستخدم القلم أثناء القراءة. ارسمْ على كتابك ما فهمته.

9. لا تقرأ بترتيب يُلزمك..

ولا ننسى المعادلة المهمة: «الكتاب المناسب للشخص المناسب في الوقت المناسب»..

(عبد المجيد)

12

تعيش فقيرًا وستموت فقيرًا

الخرافة: القراءة صديقة البطالة

أستطيع القول إن أغلب هذه الخرافات الموجودة في كتابي قد واجهتها في حياتي بشكل شخصي، بمعنى أنني لا أتعامل معها بموضوعية بحتة (الموضوعية الخالصة أيضًا خرافة).. ومن ضمن هذه التجارب الحرب الأزلية بيني وبين عمّي حول قضية القراءة.. برأيه الشخصي إن القراءة تضييع للوقت وتبرير للكسالى بأن لا يشمّروا عن سواعدهم للعمل.. طبعًا عمي كان يعمل في السوق منذ نعومة أظفاره.. وعمل في التجارة لسنين طويلة حتى بنى حلمه بنفسه.. وبالتالي حوارنا يدور دائمًا حول هذه المعادلة.. من أراد الاستقرار المادي والمالي فليس هناك سوى العمل والعمل فقط.. والقراءة تثبط هذه العملية.. بالنسبة له القراءة ليست عادة الأغنياء.. بل على العكس هي من عادات البطالة..

مع الأسف عمي وغيره في المجتمع يعزفون على وتر حساس بالنسبة للشباب.. لأنه في آخر إحصائية ودراسة أجريت على المجتمع السعودي لمعرفة الأولويات لدى شبابه.. وجد أن الاستقرار المادي هو في مقدمة هذه الاهتمامات.. وهذا برأيي لا يحتاج إلى دراسة، فهو معروف بالحسّ المشترك في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة والبطالة المنتشرة.. ولكن يبقى السؤال الأهم: هل صحيح بأن القراءة لا تدعم الاستقرار المادي؟

في كتابه «عادات الأغنياء» (Rich Habits: The Daily Success

(Habits Of Wealthy Individuals أجرى المؤلف توماس كورلي دراسة لمدة خمس سنوات على شريحة من الأغنياء والفقراء حتى يكتشف كما يسمّيها «عادات الأغنياء» و«عادات الفقراء».. ويقول إن كل إنسان لديه مجموعة من هذه العادات، ويكمن سرّ النجاح في زيادة عادات الأغنياء بأكثر من 50 بالمئة..

من ضمن الاستبيان الذي وضعه في هذه الدراسة هذا السؤال:

أنا أحب القراءة

86 بالمئة من الأغنياء وافقوا

26 بالمئة من الفقراء وافقوا

يعلّق المؤلف: بالطبع الأغنياء يحبّون القراءة، فهم يرونها من أدوات النجاح. وفي الحقيقة 88 بالمئة منهم يقرأون لتطوير ذواتهم لمدة 30 دقيقة في اليوم مقابل 2 بالمئة من الفقراء يفعلون ذلك..

للاطلاع أكثر على التفاصيل انظر الرابط[1].

ويذكر الكاتب الكبير فهد عامر الأحمدي في مقالته «أعظم 6 عادات تميّز الأغنياء»:

«أما العادة الخامسة فهي حب المعرفة والاطلاع.. فهل سألت نفسك مثلاً لماذا تملك العائلات الثرية مكتبات في منازلها، أو لماذا يبدو أبناء الأثرياء أكثر اطلاعًا ودراية ويتحدّثون عن إنشاء مشاريعهم الخاصة».

الغريب أنه في قرآننا الكريم وُجِد هذه الاقتران الأزلي.. وأشير إلى

(1) http://www.businessinsider.my/rich-people-daily-habits-2014-6/#elXrIg5PR5g1O2ye.99
http://www.businessinsider.com/rich-people-daily-habits-2014-6
http://www.alriyadh.com/497313

أن القراءة هي مفتاح كرم الرب في الدنيا والآخرة. وفي هذا أترككم مع كلمات الدكتور ساجد العبدلي يفسر لكم:

«قد يحق للمرء أن يتساءل عندما يقرأ الآية التي جاءت في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾.. فيقول لماذا جاءت لفظة (الأكرم) ولم تأتِ لفظة أخرى كالأعلم مثلاً والأعظم، أو أية لفظة تبدو متناسبة أكثر في ظاهرها مع سياق الآية الداعي إلى القراءة والتعلّم؟..

لكن الإجابة.. تكمن في القراءة المتعمّقة لهذه الآية، حيث سيجد المرء أنها تحمل بُعدًا معنويًا فريدًا.. فاقتران القراءة بأن الرب هو الأكرم في هذه الآية إشارة ظاهرة لتلازم الأمرين في الحياة.. أي إن أولئك البشر الذين سينالون كرم الله وغناه وسيعلو شأنهم في الأرض.. هم القرّاء وأكثر الناس قراءة وطلبًا للعلم.. وهذه سنّة من سنن الله التي أجراها في خلقه.. فيستوي فيها المسلم مع غير المسلم»[1]..

القراءة.. بركة بالمعنى الروحاني وحركة بالمعنى المعرفي.. وفي الأولى تشهد لنا قصة آدم على أن الارتقاء بالروح نحو السماء يكون بالعلم والتعلّم.. يكون بالقراءة.. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾.. وتعلّمنا قصص التاريخ وسيرة العظماء بأن النجاح في الحياة يكون بالمعرفة.. يكون أيضًا بالقراءة.. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾..

(عبد المجيد)

(1) ساجد العبدلي، القراءة الذكية، ص 21.

13

أنا كاتب إذًا أنا أفضل

الخرافة: الكاتب أذكى وأفضل من القارئ

بدايتي في القراءة كانت مع مؤلفات الشيخ محمد الغزالي المصري الأزهـري.. كان أول كتـاب قرأتـه بجدّيـة ودقّة هو «الإسـلام والطاقات المعطّلة».. ثم انتقلت بعد ذلك إلى قراءة خمسـة كتب للشـيخ بشـكل متتالٍ.. أحببته وخاطبته في بعض رسائلي الشخصية (رغم أنه متوفّى).. علّقـت صورتـه فـي غرفتي.. وبـدأت أخاطب كل مَن حولي عنه.. حتى أنني كتبت عنه في كتابي المنشور «قيل وقال ومقال» في سلسلة أسميتها «غزاليات».. هذا النوع من العلاقة بين المؤلف والقارئ هو الذي يعطي للقراءة بُعدًا عميقًا وجميلاً.. ولكن..

بعـد مـدة اسـتوعبت أنـني مسـجون بإرادتـي فـي جزيـرة فكـره.. أصبحت أدافع عنه بشكل أعمى عندما يُقال لي إنه ليس بهذه العبقرية.. فـي لحظتهـا تذكّـرت المـرات التي حاول عقلي بخجـل أن ينتقد بعض الأفكار لديه، ولكنه كمّم نفَسـه بسـبب أنه كاتب كبير.. وأن لديه كثيراً مـن الكتـب.. تحركـت بداخلي المعادلة الديكارتيه بدون وعي مني: إنه كاتب إذًا هو على حق..

الكتابة سلطة.. وكل سلطة لها تأثيرها بشكل أو بآخر على الوعي.. فالانبهار أحيانًا يولّد الاستهتار على مستوى النقد.. الكتّاب ليسوا دائمًا على حقّ.. وليسوا دائمًا أذكى منك.. فمن الخرافة أن نظنّ أنهم أحيطوا علمًا بما يكتبون..

نبعـت هـذه الفكـرة برأيـي مـن خرافـة أن الكاتب لا بـد أن يكون

ملمًّا بشـكل كامل بالعلم الذي يتكلّم فيه، أو أن يكون قد درسـه وحاز فيـه درجـات أكاديميـة عاليـة.. لذلـك يتصوّر النـاس أن الكاتب هو إما رجـل عجـوز وإمـا مجنـون صاحب موهبـة نادرة.. وكنـت قد لاحظت هذه الظاهرة بشكل شخصي عندما كتبت الكتب الثلاثة الأولى لي وأنا عمري ثلاث وعشـرون سـنة على وجوه مَن أخبرهم بذلك.. انبهار ثم تعجّب ثم مسـاءلة.. وهذا الاسـتغراب متولّد من هذه الصورة الخاطئة عن الكتّاب..

تنمّي هذه الفكرة الاستسـلام أكثر لما يكتبه الكاتب وتجعل وعي القرّاء أقل «فَلترة» لما يكتب.. الكاتب هو إنسان بسيط ليس أفضل من القارئ، امتلك أدوات معينة جعلته يستطيع أن يتكلمّ عن نظرته وتجربته والعلم الذي يدرسه.. ولا يحتاج أن يكون ملمًّا بكامل الموضوع حتى يكتبه.. لا أنكر وجود مثل هؤلاء الكتاب الكبار والأكاديميين، ولكنهم قلّة قليلة.. وأيضًا هذا لا يعني أنهم بصفتهم كتابًا فهم أفضل منّا أو حتى أذكى منّا..

النقطـة الثانيـة هـي أن كل كاتـب لابد أن يُفـرغ ويضيف بعضًا من لاوعيـه فـي كتابتـه. لا توجـد كتابـة موضوعيـة بحتـه.. ففـي النهاية هو الكاتب.. حتى لو كانت الملاحظة موضوعية فالأسلوب ذاتي.. الحذف والإضافة والاختيار إرادة ذاتية.. بالتالي الكاتب يمارس سلطته في تدفّق الأفكار والمشاعر.. ومن هنا لا يمكن أن نقول إن الكاتب حيادي.. بل هـو يريـد أن يوصـل رأيـه.. الصورة التي يراها.. الفكـرة التي يرضاها.. ويأتـي دورنـا كقـرّاء أن نكـون الآمر والناهي لهذا التدفّـق.. النقد هو ما يجعلنا فوق النص.. لا أن نكون سجناء النص وعبيد السجان/ الكاتب..

تبقى نقطة أريد التذكير بها وهي أن القارئ كاتب بالضرورة للنص

الذي يقرأه.. فكل قارئ يعيد كتابة النص حسب كينونته الخاصة.. فكل قـارئ يقـرأ «بفلتـر» مـن تجاربـه ووعيـه وخبراته التي تمتـزج مع النص ليَخرُجَ مولود جديد هو منسـوب إلى القارئ وليس الكاتـب.. فالكتاب مـرآة القـارئ.. وقـد تخـرج بمفاهيم ومعلومات لا تجدهـا مذكورة في النص بشكل مباشر وتستغرب من أين مصدرها.. وتنسى أنها من كتابك الجديد الذي كتبته عبر قراءتك.. فالقراءة أيضًا طقس انبعاث للأفكار..

قـد يكـون دور الإعـلام في هذه السـنوات الأخيـرة زاد من أضواء الكتّاب وجعلهم مع المشاهير.. وهذا شيء جيد، ولكنه يدعم أكثر فكرة قدسية الكاتب ويضعف أكثر «فلاتر» الوعي تجاه المُستقبِلين / القرّاء.. الكاتب لا ينظر إليك من أعلى برج النص أيها القارئ.. بل الكاتب هو المجنون الوحيد الذي في الجزيرة.. لا يستطيع أن يتأكد من أي شيء أو أن يضيـف لـه قيمـة بدون محادثة مع الآخر / القارئ.. تثبت له وجوده بالأساس.. وبأنه يكتب لغة مفهومة..

كقارئ كُنْ جريئًا واثقًا بنفسـك وعقلك.. فأنت إنسـان مثلك مثل الكاتـب.. يقـول ألبرتو مانغويـل: «القارئ المثالي هو تمامًا الكاتب قبل أن تتجمّع الكلمات على الصفحة».. أنا كاتب ودائمًا أذكّر نفسي بأنني لا أختلف عن غيري بأي أفضلية.. سوى أنني مهووس بتسجيل أفكاري على ورق..

(عبد المجيد)

14

أربع عيون!

الخرافة: القراءة تُضعِف النظر

النظارة جهاز حسّي مفصول عن الجسد. إنها قناع يمكن للمرء رؤية العالم من خلاله. إنها مخلوق شبيه بالبعوض، كحيوان أليف يحمله المرء معه دومًا، بوداعة يجلس هذا الحيوان المتصالب الساقين على كومة من الكتب، أو ينتظر بصبر بين أدوات أخرى للكتابة. إنها شعار القارئ، وعلامة حضوره، ورمز عمله[1]..

لطالما كانت الصورة النمطية للإنسان الذكي في مجتمعنا بصورة عامة والقارئ بصورة خاصة هي الشخص الذي لديه ضعف في النظر ويضع نظّارة.. أصبحت النظّارة هي الماركة التي يوصف به القرّاء.. وقد تعرض الكثير من الناس لكثير من الاستهزاء والصفات السلبية خلال نشأتهم في مجتمعهم.. داخل هذه الصورة النمطية فكرة خاطئة أو خرافة وهي أن كثرة القراءة هي السبب في ضعف النظر.. مع أن الشخص الذي يضعها ولكن لا يحمل كتابًا في يده يبرَّر له بعدة أسباب.. ولكن ما أن يحمل كتابًا حتى يتحوّل إلى كائن آخر.. في نظرهم، يتحوّل إلى هذا الشكل الأسطوري للقارئ المنكبّ على الكتاب والمهمل لصحته (ضعف البصر)..

في مقالة على موقع جامعة «هارفارد» بقسم الطب صنفت خمس خرافات عن حماية البصر ومن بينها الآتي:

---

(1) ألبرتو مانغويل، تاريخ القراءة.

1. القراءة في ضوء منخفض تضرّ ببصرك:

القـراءة فـي ضـوء منخفـض لـن تؤثـر سـلبًا على بصـرك، ولكنها بالتأكيـد سـتتعب عينيـك.. بالتالي أفضل وضعيـة للإضاءة هي أن تسقط مباشرة على صفحات الكتاب وليس على كتفيك.

2. المطالعة على شاشة الكمبيوتر طوال اليوم ستضرّ بصرك:

لـن تضعـف بصـرك المطالعـة طـوال اليوم علـى الشاشـة ولكنها سـتتعب عينيـك أيضًـا، فعندمـا تقوم بالمطالعة علـى الكمبيوتر أو القراءة في الكتاب فمن الضروري أن تريح عينيك كل ساعة وتقوم بالرمـش أثنـاء ذلـك لفترات متقطعة لأن من عادة الشـخص الذي يصبّ تركيزه على الشاشة أو الكتاب أن لا يرمش كثيرًا مما يسبّب جفافًا للعين وتعبًا.

بالتالي الأسـطورة التي كانت حجة لدى أبي وأمي لكي يجعلاني أنام مبكرًا ولا أسـهر على سـريري وأنا أقرأ.. ليسـت حقيقية.. كثير من الدراسات تشير إلى ذلك، وقد جمعت جزءًا ممّا ورد منها في المراجع.. وأردت ذكر هذه الخرافة لأنني لا أريد أن يكون هناك عذر أو سبب يقتنع بـه الأفـراد أو الآبـاء والأمهـات حتى يبعدوا أطفالهم عـن إدمان القراءة وهوس الكتب.. على العكس بالنسبة إليّ، هي أكثر ظاهرة صحية تدلّ على نمو الإنسان الحقيقي..

رغم ذلك بقيت منذ آلاف السنين صورة الإنسان الذي يضع النظّارة عالقـة فـي ذاكرة البشـر على دلالة الـذكاء والقراءة.. نجدها في لوحات ونصـوص القـرون الوسـطى حتى يومنـا هذا.. لكننا فـي عصر مختلف الآن.. لـم ترتبـط الأداة بالحاجـة.. ولـم تعد الحاجـة هي أم الاختراع..

بل تعدّدت استخدامات النظارة إلى الموضة والأناقة الخارجية والدلالة المجتمعيـة.. مـا أقصـده أنهـا لـم تعد حكرًا بالفعل علـى طبقة معيّنة من المنهكيـن معرفيًـا وقرائيًا.. بل أصبحت متاحة للجميع.. فمن الخطأ أن نعتبرهـا إلـى الآن رمزيـة علـى تفـوّق ذهني أو معرفـي.. لأن أي صورة نمطية تؤثّر سـلبًا على السـلوك.. فقد يتخيّل الشـخص الذي يريد دخول عالم القراءة أنه سـيتحوّل إلى هذا الكائن.. وبالتالي تباعًا يدخل عالمه الوحيـد المكتئـب كمـا يتصـوّر فـي الصـورة القديمة.. وهـذا يولد لديه حاجزًا وتثبط لديه العزيمة.. من الجميل أن يتم ترويج القراءة في عصرنا هذا على أنها أداة لكل أنواع الشخصيات والأشكال والانتماءات.. أنها حركة تفهم الشباب وتتأقلم مع عصرهم وبيئتهم.. ولا تجرّهم إلى زمن سابق ينتمي إلى ثقافة ميتة..

أنـا شـخص يضـع النظـارة ولكنني لم أضعها بسـبب الكتب لأنها سـابقة لعهدي مع القراءة.. لا أسـتطيع أن أنفكّ من الصورة المجتمعية أنـه مـن الطبيعـي والمتقبّل أن أكون شـخصًا يتكلّم عـن القراءة ما دمت أضـع النظّـارة.. ولكننـي في الحقيقية لا أريد لهـذه الصورة اللحظية أن تضيـف إلـى الشـخصية التـي أريد الظهور بها كمختـصّ في القراءة.. لا أريد أن تكتسب صورة لحظية هذا الحق في مقابل الساعات من الجهد المضني والقراءة والغرق بين الكتب.. القارئ الحقيقي لا تهمّه الصورة فقـط.. القـارئ الحقيقـي يقرأ لأنه يريد أن يقرأ فقط.. وتسـتدلّ عليه في لحظة عند الجلوس معه.. في حركاته وكلماته وشغفه وفضوله وأحلام يقظته اللامتناهية..

نعم في مقالتي هذه أذكر الجانب السـلبي من النظارة وخرافتها.. ولكنني لا أنسـى بعض الطقوس الخاصة بها والعلاقة الوجودية معها..

هناك نمط حياة مختلف لمن يضعها.. أذكرها على لسان ألبرتو مانغويل معلمي وصديقي على أرض الورق:

«حـركات معروفة.. سـحب النظارة مـن غلافها، تنظيفها بالمنديل أو بطرف القميص أو بربطة العنق، ووضعها على الأنف وتثبيتها خلف الأذنين، ثم إلقاء نظرة تفحّصية على الصفحة المقروءة. بعد ذلك تحريك النظارة من مكانها وحكّ الأنف قليلاً مع غلق العينين برهة إبعادًا للتعب، ثـم الحركـة النهائيـة قبل الخلـود للنوم.. تطوى النظـارة وتوضع معلّمة القراءة داخل صفحات الكتاب» (تاريخ القراءة)..

كل واحد منّا يخلق طقوسًـا وسـلوكيات مع النظارة.. كنت دائمًا أحـب حركـة الدكتـور مصطفى محمود فـي برنامجه «العلـم والإيمان» عندمـا يبـدأ فـي التركيـز يحـرّك نظارتـه ويرفعها قليلاً، وقتهـا أعرف أنه سيقول كلامًا مهمًّا مركزًا..

هذه الطقوسيات جميلة.. وتَحرُّر القراءة من الخرافات أجمل..

(عبد المجيد)

http://www.wsj.com/articles/SB10001424127887323646604578404581544768850

http://www.health.harvard.edu/healthbeat/safeguarding-your-sight

http://www.bbc.com/future/story/20121001-should-you-read-in-the-dark

15

صباح الجريدة والقهوة

الخرافة: قراءة الصحف
تغنيك عن قراءة الكتب

قـال الأديـب والمفكر الفرنسـي بول فاليـري، وهو الذي مات في العام 1945م: «إن الإنسانية في جملتها اليوم لا تقرأ شيئًا غير الصحف». وكان ذلـك فـي معـرض كلامه عن المسـؤولية الأخلاقية التي يجب أن تراعيهـا الصحافـة تجـاه تثقيـف النـاس ونشـر الوعي. هذا الـكلام كان صحيحًا جدًّا إلى ما قبل مرحلة انتشـار الهواتف الذكية المربوطة دائمًا بالإنترنت وشـبكات التواصل الاجتماعي، حيث توقفت اليوم شـريحة كبيرة من البشر عن الالتفات للصحف، ما حدا بكثير من هذه الصحف إلـى التحـوّل إلـى نسـخ إلكترونية وإلغاء طبعاتهـا الورقية. لكن لا تزال هنـاك، حتـى يومنـا هـذا، شـريحة كبيرة لا تقـرأ الكتب وتكتفـي بقراءة الصحف، والسؤال هنا: هل يجد هؤلاء فيها ما يغنيهم عن قراءة الكتب؟

طرف الإجابة على هذا السـؤال جاء على لسـان الرئيس الأمريكي الثالث والأب المؤسس لأمريكا الحديثة، توماس جيفرسون، وهو الذي مات في العام 1826م، حين قال: «الإنسان الذي لا يقرأ شيئًا أفضل علمًا مـن ذاك الـذي لا يقـرأ سـوى الصحـف». قـد يبدو كلامه شـديدًا بعض الشـيء، ولكنـه فـي حقيقتـه يسـلّط الضوء علـى طبيعة المـادة المعرفية والثقافية التي تنتجها الصحف، وللمسألة تفصيل.

أولاً، تكتب الصحف في الغالب بلغة مبسـطة، بل صارت تقترب في كثير من موادها، كما نشاهد في السنوات الأخيرة، من اللغة الدارجة. ضيّـع هـذا الأمـر على القارئ فرصـة إثراء حصيلته اللغويـة بالمفردات الجديـدة وكذلـك فرصـة الارتقـاء بلغتـه وتعبيـره. لا بديل عـن الكتب

الرصينة المكتوبة بلغة فخمة متميّزة للحصول على مثل هذا.

ثانيًا، لطبيعة النشر الدوري السريع للصحف وموادها، فإن المقالات المنشورة لا تنال في الغالب حظّها الواسع عند الإعداد من البحث، بل لعلّ الأمر يكون مقصودًا للطبيعة الخفيفة والسطحية للصحف، التي تكوّنت من باب أن قارئ الصحف لا يتوقع، بل لعلّه لا يريد، أن يتعامل مع مواد عميقة أو ثقيلة، بل يبحث عن المواد المبسطة سريعة العبارات. أدّى هذا الأمر إلى ركاكة كثير من المواد الصحفية من الناحية العلمية والتثقيفية، بل إلى وقوع كثير منها في الأخطاء، إما لسوء النقل وإما لسوء الفهم من قبل المحرّرين غير المتخصّصين أو لسوء التبسيط المؤدّي إلى الإخلال. يكفي أن نعلم بأن الدوائر العلمية الرصينة لا يمكن أن تعتمد في بناء افتراضاتها أو استنتاجاتها العلمية على ما يتم نشره في الصحف لكونه واقعًا ابتداءً في دائرة «غير الموثوق به».

ثالثًا، تسعى أغلب الصحف إلى إبراز المواد المثيرة على حساب المواد المفيدة، وهو ما جعل الأديب الإنجليزي الساخر جورج برنارد شو يقول متهكّمًا: «إن الصحف لا يفرق عندها حادث لدراجة هوائية، وسقوط حضارة». وهذا الكلام على سخريته صحيح إلى حدٍّ كبير، فكل يوم نرى الصحف وقد أفردت في صفحاتها مساحات واسعة للأخبار السياسية المثيرة وأخبار الفن والفنانين وأخبار الرياضة، ولا تجدها تعطي إلا المساحات الصغيرة للمواد العلمية والأدبية والثقافية المتعمّقة، والتي إن جاءت أيضًا فإنها تأتي بطريقة الإثارة والرشقات السريعة التي لا تُسمن الباحث عن العلم والثقافة ولا تغنيه من جوع. بل لا تجيء حتى المواد السياسية والفنية والرياضية بطريقة التناول الموضوعي المتعمّق، وإنما بأسلوب الأخبار المثيرة الجاذبة للانتباه في المقام الأول.

رابعًا، أغلب الصحف اليوم هي صحف موجّهة، تسعى لتحقيق أهداف معيّنة، ولذلك فإنها لا تتورّع عن تحوير المواد المنشورة وإعادة صياغتها لخدمة أهدافها، هذا إن لم يقم بعضها بتزييف الحقائق بالكلية لتغسل أدمغة القرّاء وتزيّف الوعي الجمعي. يقول الطبيب الأديب الراحل مصطفى محمود: إن «أخطر أسلحة القرن العشرين والاختراع رقم واحد الذي غيّر مسار التاريخ هو جهاز الإعلام. الكلمة، الإزميل الذي يشكّل العقول. أنهار الصحف التي تغسل عقول القرّاء. اللافتات واليافطات والشعارات التي تقود المظاهرات. التلفزيون الذي يفرغ نفوس المشاهدين من محتوياتها ثم يعود فيملأها من جديد بكل ما هو خفيف وتافه». ويقول الزعيم الأمريكي الشهير مالكوم إكس في السياق ذاته: «إن لم تكن حذرًا فإن الصحف ستجعلك تكره المقهورين وتحب أولئك الذين يمارسون القهر».

لكننا نقول من باب الإنصاف إن هذا الكلام لا يعني بأنه لا يوجد في الصحف ما يفيد الإنسان مطلقًا، بل هناك شيء من المفيد، لكنه مثل الجواهر المنثورة في حقول الألغام، ولا يستطيع التقاطها إلا القادر على الفرز والتمييز، وهذه القدرة ليست متاحة إلا لمن يكتسبها من قراءة الكتب.

جملة الأسباب التي ذكرت، وغيرها، تؤدّي إلى أن يخرج ذلك القارئ الذي لا يقرأ إلا الصحف، بأفكار مفكّكة ومعلومات غير مترابطة يختلط فيها الغثّ بالسمين، عن أي موضوع يطّلع عليه، إذا لم ينتهِ إلى ما هو أسوأ من ذلك، فيخلص إلى استنتاجات سطحية واستنباطات غير صحيحة في الغالب، ليصبح في المحصلة، أسوأ حالاً ممن لم يقرأ شيئًا البتّة فقال لا أعلم، وهو ما أراده الرئيس الراحل جيفرسون في مقولته الشهيرة.

(ساجد)

16

الأفلام تغني عن القراءة

الخرافة: القراءة تغني عن الأفلام

قد يبدو العنوان للوهلة الأولى غريبًا.. متناقضًا.. ولكن لأني كتبت كثيرًا عن الموضوع خرج العنوان وكأنه متلبّك معويًا!..

أريـد التحـدث عـن الفكرتيـن.. وبرأيـي أن الفكرتيـن هما خرافة أيضًا.. الأفلام لا تغني عن القراءة.. ولا القراءة تغني عن الأفلام..

كلنا نحب مشاهدة الأفلام ونستمتع بها.. أخبروني إذا رأيتم هذه الأفلام من قبل:

1. Da Vinci Code
2. Twilight
3. Harry Potter
4. Hunger Game
5. The Lord of the Rings
6. Casio Royal
7. The Godfather I, II
8. Apollo
9. The Green Mile
10. V for Vendetta
11. The Silence of the Lambs
12. Slumdog Millionaire
13. Dances with wolves
14. A beautiful mind
15. Scarface
16. Fight Club

17. Gangs of New York
18. Jurassic Park
19. Les Misérables

تعرفـون أن المشـترَك بيـن هـذه الأفلام هو أنهـا كانت في يوم من الأيام روايات وكتبًا..

نحـن نعيـش فـي عصـر الصورة، عصـر الإنتاج السـينمائي، عصر هوليوود.. لكننا ننسى أحيانًا أن هذه الأفلام التي استمتعنا بها هي ببساطه عبارة عن الخيال الذي ارتسم في ذهن المخرج عندما قرأ الرواية.. يبدو كلامـي الآن متحيـزًا قليـلاً للكتـب ضد الأفلام، لكنني لا أريد أن أدخل في نقاش العادة: أيهما أكثر متعة، قراءة الرواية أم مشاهدة الفيلم؟ على الرغم من أنه في أمور كثيرة يتأكّد أن قراءة الرواية فيها متعة ونكهة خاصة مختلفة عن الفيلم.. فمثلاً:

1. قـراءة الروايـة (الكتـاب) ترتقـي بذهنـك وتنمّـي الخيـال أكثر من الأفلام.. لأنك في الفيلم مجرد متلقٍّ على عكس قراءتك للرواية التـي تسـمح فيها لخيالك بصنـع الحدث والصوَر، فأنت المخرج والمنتج والمصوّر الذي يصنع فيلمه الخاص.
2. الفيلم لا يسـمح وقته ولا إمكاناته بتصوير كل التفاصيل التي في الرواية.. بالتالي تخسـر جزءًا كبيرًا ممتعًا من القصة، فالمخرج أو المنتج يختار حسب هواه ما الذي يعرض من القصة.
3. قراءة الكتاب تزيد من المخزون اللغوي والثقافي وتنشّط الذهن.
4. قراءة الكتاب تطوّر القدرة على التركيز من خلال تمرين عضلات ذاكرتك عن طريق تذكر الأحداث والشخصيات بشكل مستمر.

الأفـلام لهـا متعـة خاصـة، ولها قـدرة تأثيريـة عالية علـى التفكير

والتحفيز تمامًا (لست مرتاحًا لقولها!) مثل الكتب.. ولي تجربة شخصية مـع فيلـم «العمـى» وهـي رواية لسـاراماغو.. لقـد جعلني الفيلم أشـعر أكثر بمعاناتهم وأستشـعر الموقف. ومدّتني الرواية بالتفاصيل والعمق، وخرجـت بالاثنيـن بتجربـة لا مثيـل لهـا.. وأيضًا بعد أن شـاهدت فيلم «Interstellar».. تأثّرت وتسـاميت وتفتّح ذهني وشـعرت بالانتشاء، ولا أظننـي أريـد محتـوى الفيلم أن يكون في كتـاب.. فلا يمكنك أن تصوّر هذه الأفكار إلا بقدرة إنتاجية مثل هوليوود..

حـاول أن تسـتخدم الرواية كوسـيلة لدخولك عالـم القراءة.. ابدأ بقـراءة الكتـب التـي تخـصّ الأفـلام التـي شـاهدتها وأحببتهـا من باب الاسـتطلاع وزيادة المتعة.. ابدأ من هنا.. وستكتشـف أن القراءة أعظم شاشـة سـينمائية.. تسـتطيع عبرها أن تغيّر ليس فقط مشاهد الكتاب، بل تستطيع تغيير نفسك ومجتمعك والمستقبل..

يكمن سر النجاح في المزج بين الاثنين.. بأن تقرأ الكتاب وتشاهد المحاضرات والأفلام، لا تتعب نفسك في الجدال بين الفريقين.. وفي الأخيـر يقـول الكاتـب الكبير سـتيفن كينج، والـذي تحوّلت معظم كتبه إلى أفلام أيضًا: «الكتب والأفلام مثل التفاح والبرتقال، الاثنان فاكهة.. ولكنْ لكل منهما مذاق مختلف».

(عبد المجيد)

17

فات القطار

الخرافة: حبٌّ القراءة يُزرع في الصغر فقط

كثيرًا ما يتصوّر بعض الناس أن من يعشقون الكتب هم أشخاص تربوا من الصغر على صداقة الكتاب. وهذا ليس صحيحًا دائمًا.. فأنا شخصيًا بدأت لأول مرة أقرأ بجدية قبل خمس سنوات فقط..

تكوين العادات الجديدة، يقول علماء النفس، لا يحتاج أكثر من واحد وعشرين يومًا. هذا إذا أخذنا في الاعتبار أن العادات تشكل 90 بالمئة من سلوكياتنا كما يقول وليم جيمس.. بالتالي عادة القراءة من الممكن تكوينها في أي وقت طالما وجدت الرغبة.. فهي ليست عادة تكتسب بالوراثة أو بالمحاكاة فقط.. وعندما نتكلم هنا عن عادة القراءة لا نقصد بالطبع القراءة الميكانيكية.. ولكننا نقصد مستوى آخر من القراءة.. عشق الكتب والكلمة المطبوعة.. الشراهة في التهام المعلومة وطلب المزيد منها..

حب القراءة لا يأتي بالتعليم. إنه شيء ينبع من داخلك بالمعاشرة والتجربة الذاتية، يحصل فورًا بعد أول لقاء، أول سلام ولمس للأيدي / للغلاف.. تمامًا كما تتعرّف إلى صديق جديد.. وكلما تعمّقت أكثر في التجربة وأخذت الوقت الكافي ستكتشف مدى شعورك تجاه هذا الصديق / الكتاب.. وأحيانًا نقع في سوء الظن عندما نعيش في هالة من التنبؤات والافتراضات الخاطئة عن شخص / كتاب معيّن.. وقد نعيش طوال حياتنا داخل هذا التصوّر دون اختباره.. قيل عن الأصدقاء: إن الصديق الحقيقي هو الذي يكون مرآة لذاتك الحقيقية.. والكتاب هو

مرآة القارئ الحقيقية..

التبرير نقمة عندما يكون على حساب مصلحة الإنسان الذاتية.. فليس عذراً أن تقول إن أهلي لم يكونوا من القرّاء النهمين.. وإنني تربّيت في بيت لا توجد فيه مكتبة.. أو إنني لم أمسك كتابًا في حياتي حتى الآن.. الكتب متوافرة في كل مكان.. ولا يتطلب منك أن تقرأ سوى الإرادة في البدء..

القراءة ليست تراكمية بالمعنى الحقيقي في الكمّ.. بل في النوعية والكيفية.. فليست هناك ميزة في القراءة منذ الصغر إذا لم تكن الكتب جيدة.. إذا لم يكن القارئ يستخدم الأدوات الصحيحة.. إذا لم يكن قارئًا معرفيًا.. فنحن تلقائيًا نقرأ كتب الدراسة لمدة ست عشرة سنة، ولكنها لن تفيد بشيء إذا لم يكن الإنسان شغوفًا بالمعرفة والبحث والسؤال.. إذا لم يكن ناقدًا ومسائلاً لما يقرأ.. إذا لم يكن بنّاءً في تحصيل العلم الذي يبحث عنه.. هناك ميزة وحيدة يفتقر إليها المبتدئ وهي العلاقة المتينة مع الكتاب ونموّ شجرة الحب بينه وبين القراءة.. لأنها فعلاً تحتاج إلى زمن وصبر وتجاوز وتحمّل أحيانًا.. إنها صداقة بكل معنى الكلمة..

يقول توماس كارلايل: «الجامعة الحقيقية هذه الأيام هي مجموعة من الكتب».. وبرأيي إن ما قصده توماس أن الجامعة الحقيقية هي الدافع والرغبة في الفضول.. في التعلم الذاتي بأي وقت وأي عمر.. ولن نختلف مع الكاتب الكبير عباس محمود العقاد.. عندما كان يقول إن حياة واحدة لا تكفيني.. وإن الكتب فعلاً تطيل عمره..

في أي مرحلة عمرية دائمًا ما يبقى الإنسان تلميذ الدهشة والفضول.. والعلاقة بين الإنسان والكتاب لا تحتاج إلى مقدمات ولا

إلى مدة طويلة.. فالأمر في عالم الكتب يعتمد حسابات مختلفة.. فهناك كتاب يعيدك إلى الطفولة المنسية.. إلى البراءة والفطرة. وآخر ينضجك ويتقدم بك في العمر عمقًا.. وهناك كتاب يلغي الزمن ويعرّفك إلى ذاتك التي يلفّ حولها الزمن.. الكتب دائمًا لا تملّ الانتظار.. فهي في انتظارنا حتى نعيد الحياة لها كما قال ألبرتو مانغويل «القراءة طقس انبعاث».. انبعاث للكتاب وانبعاث لروح جديدة بداخلك.. روح اقرأ..

(عبد المجيد)

18

لماذا نقرأ؟

الخرافة: استحضار المعلومة
هي الفائدة الوحيدة من القراءة

فـي ذاكرتنـا التاريخيـة لطالمـا كان للحفظ مكانـة عالية في الهرم المعرفي.. نبجّله ونُلبسه دور البطولة في كل النشاطات المعرفية.. رغم أن الزمن تغيّر والمعادلات التعليمية تغيّرت.. ولكن مازال في داخلنا هـذا الهـمّ فـي المقدرة على حفظ المعلومات واستحضارها.. بالطبع هـي مهـارة مهمّـة وتعتبر مكافأة سـريعة وفورية على الفعـل القرائي.. ولكن هل فعلاً هي الفائدة الأساسـية المرجوّة من القراءة..؟ هل هي الأهـمّ؟

لـم نعـد فـي زمن التطـوّر التكنولوجـي نحتاج إلـى ذاكرتنا بقدر مـا نحتـاج إلـى ملـكات الفهـم والاسـتيعاب والسـؤال.. إلـى الوعي الشـمولي والعميق.. google والجوالات والـnote والإنترنت عمومًا تحمل جزءًا كبيرًا من نشـاط الذاكرة، وهذا ما يسـمّيه علماء المسـتقبل إنسان «السايبورغ».. وهو أن تقوم التكنولوجيا بعمل بعض النشاطات الإنسـانية الأساسـية لدينـا ودعمهـا لنـا.. مثـل الذاكرة.. لـم تعد حتى الاختبـارات على المسـتوى التعليمـي العالي تحتاج إلى الحفظ.. فقد يعطى لك الكتاب والمواد المقروءة عند الحل.. بل هناك أدوات أهم في عصر المعرفة وهي الإبداع وحل المشـكلات والوعي.. المعلومة لم تعد ميزة كما في السـابق، أقصد في حفظها والاحتواء عليها، فهي متوافـرة فـي كل مـكان في عصر الانفجار المعلوماتي.. يبقى السـؤال بعد ذلك.. إذًا لماذا نقرأ؟

القـراءة التـي نعنيها هي القراءة الحرة، وليسـت الكتب المفروضة علينـا. وفـي الحريـة تنبعـث غايـات أخرى ومعـانٍ أعمق. يقـول ألبرتو مانغويل:

«فـوق المـكان والزمان والمزاج والانتباه والتجارب والاهتمامات تضرم عملية القراءة التوترات النفسية وتزيدها اشتعالاً، وتجعلها ترقص، وتوضحها لنا بدل تحريرنا منها، الحقيقة هي أن العالم الوهمي للكتاب يسيطر أحيانًا على تخيّلاتنا ويجعلنا نتيه منذهلين دون هدف عبر المناظر الوهميـة مثـل دون كيخوتـه.. لكننـا علـى الأغلـب نتحرك فـوق أرضية صلبـة. نحـن نعـرف أننـا نقرأ حتى عندما لا نعـرف كيف نقرأ.. إننا نقرأ لأننا نريد العثور على النهاية.. فقط لأننا نريد مواصلة القراءة.. نحن نقرأ كالكشـافة الذين يقتفون الخطى ناسـين كل ما حولهم من أشـياء.. نقرأ شـاردي الذهن متجاوزين بعض الصفحات.. نقرأ باحتقار.. بإعجاب، بملل، بانزعاج، بحماسة، بحسد وشوق»[1]...

برأيـي أن كل شـيء نمـرّ بـه في حياتنا.. فيـه طيف من كتاب.. في دراسـتنا وعند تحقيق أحلامنا.. نسـهر عليه ويسـهر علينا.. وعندما نريد التواصـل نقـرأ فـي دواخل بعضنا.. نتعلـم لغة جديدة من كتاب.. كتاب نعبّر فيه عن حبّنا ونهديه لأحبابنا.. وكتاب نعالج به أصحابنا.. وعندما نريد الارتباط بالسماء.. نقرأ بقدسية في كتاب..

أول وجود.. قلم..

أول آية.. اقرأ

أول مهمة.. الأسماء

في الكتب عوالم وجدانية تمتدّ إلى ما لا نهاية.. تستطيع في رواية

(1) تاريخ القراءة، ص 331.

أن تخلق عالمًا ثانيًا أحيانًا أصدق من الواقع نفسه.. وفي خيال علمي.. تخترع المستقبل وتبني المستحيل.. وأدب وشعر.. تحبس الروح في كلمة.. لا نقرأ لمجرد المتعة..

نقرأ لأننا.. آدم..

لأننا مدفوعون بقوة.. للفضول.. والشغف.. والاكتشاف.. والمعرفة..

لن نرتاح حتى نكتشف ذواتنا..

ماذا ولماذا وكيف.. قوارب نبحر بها فوق رفوف الكتب..

في كل كتاب.. تاريخ ميلاد إنسان جديد.. ضائع بين صفحاته..

في كل كتاب.. حياة جديدة.

لماذا نقرأ؟ ستكون مقالة أزلية يكتب عنها كل القرّاء.. كل قارئ سيشارك بكلمته في صفحة الزمن.. من يقول إن استحضار المعلومة هو الفائدة الوحيدة.. شخص لم يدرك سر القرّاء الحقيقيين.. والسر هو أن القراءة عندهم ليست وسيلة.. بل غاية.. القراءة للقراءة.. وكفى.!

(عبد المجيد)

19

الحرية أولاً

الخرافة: كتب الدراسة
تُغني عن القراءة الحرّة

يحضر الطالب في الصباح إلى المدرسة.. أول شيء يفعله عند دخوله الفصل هو إخراج الكتاب من الحقيبة.. يدخل المدرّس ويطلب منه فتح الكتاب على صفحة معيّنة.. يُسأل عنها.. يساءَل فيها.. تتمّ معاقبته إذا لم يحلّ أسئلتها في الواجب.. وتتم مكافأته على العكس.. يخبرهم المدرّس بفتح صفحة جديدة.. ويبدأ الشرح عليها..

يعود إلى البيت.. تتمّ مساءلته من أسرته عن أدائه في المدرسة... وقبل أن يجيب.. يطلبون منه فتح الكتاب والمذاكرة.. يكافأ إن فعل.. ويعاقَب إن أبى.. تستمرّ هذه القصة مع الكتاب على الأقل ست عشرة سنة من حياة الإنسان في وقتنا اليوم..

كتب الدراسة مهمّة، فهي التي توفر لنا النجاح في التعليم النظامي.. ولكن أن تضمن لنا النجاح في زيادة محصولنا المعرفي وفي توسيع آفاقنا.. وتعميق وعينا بأنفسنا والواقع من حولنا.. فهذا شيء مختلف تمامًا.. كتب الدراسة لا تغني ولن تغني عن القراءة الحرّة أبداً..

أنا مؤمن بقاعدة: نتعلّم لنقرأ.. لا نقرأ لنتعلّم فقط..

نتعلم لنقرأ: أي كلما زادت درجة تعلّمنا وتحصيلنا المدرسي أو الأكاديمي زاد اهتمامنا بالتوسع القرائي.. لأنه كلما زاد علم الإنسان زاد علمه بجهله، وأن المعرفة لانهائية، وأن هناك كثيراً لم نعرفه بعد. بالتالي هذا يحفزّه على القراءة أكثر للفهم.. لا نقرأ لنتعلم: أي ليست القراءة وسيلة لتحصيل شهادة فقط أو معلومة فقط ونقف عندها.. بل لا بد أن

تكون القراءة مستمرّة ولا تقف عند حدّ.. العلم يزيدنا شغفًا للقراءة.. والقراءة تعلّمنا أننا لم نتعلّم بعد كل شيء..

ويقول توفيق الحكيم في كتابه «عصا الحكيم»:

«إن أبقى درس وأهمّ كسب للطالب في المدرسة ليس في تلك المعلومات المحدّدة، التي ستُنسى حتمًا بعد حين، ولكنها في غرس ملكة المطالعة التي ستلازمه في كل حين. لا خير ولا نفع في أرقى المدارس والجامعات إذا خرج منها الطلاب يلعنون كتبهم ويختمون بالشمع الأحمر على رؤوسهم، بينما الطالب الذي ينشأ فيه حب المطالعة والاطلاع تنشأ في عين الوقت جامعة كبرى في نفسه تزوّده بالمعارف المتجدّدة طوال أيام حياته.. ذلك واجب المدرسة الأول: تعلّمنا حب القراءة.. وتمرّن عضلاتنا الفكرية على هضم أغذية العقل.. ثم تدفعنا إلى الحياة نزدرد ثمرات الذهن»..

القراءة الحرة ليست مقيّدة بعقاب أو مكافأة.. ولا بمكان أو وقت معيّن.. ولا بكتاب محدّد أو نوع قراءة.. هي المساحة التي يمتلكها الإنسان ليهرب من ضجيج العالم إلى نفسه.. يختار الإنسان ما يناسب شخصيته وحاجته من الكتب.. ومن الجميل أن نجرب فكرة الدكتور طارق السويدان في توزيع قراءتنا على هذا النحو 50 بالمئة في تخصّصنا الدراسي أو المعرفي، و50 بالمئة في باقي العلوم والآداب.. حتى نستطيع أن نشكل وعيًا يوسع مداركنا ويصنع بداخلنا مثقفًا حقيقيًا.. يقول جورج تريفليان: «استطاع التعليم أن يفرز أعدادًا هائلة من البشر يمكنها القراءة، ولا يمكنها التمييز بين ما يستحقّ وما لا يستحق أن يُقرأ»..

مع الحرية تولد المسؤولية.. وعندما نقرأ بحرية ونختار الكتب

التـي نريـد يجـب أن نكـون علـى وعـي بقانـون التراكـم المعرفـي.. بمعنـى أننـا نشـكّل مكتبتنـا ثم هي تقـوم بدورها بتشـكيلنا.. بمعنى أننا ما نقرأ..

(عبد المجيد)

20

الكمّ والكيف

الخرافة: الكتب الأكثر مبيعًا هي الأفضل دائمًا

إن كنـت تبحـث عـن كتاب للقراءة فعليـك بالكتب المدرجة على قوائـم «الأعلـى مبيعًـا» لأنهـا الأفضل للقراءة، والدليل هـو إقبال الناس علـى شـرائها بهـذه الكثرة. عبارة قد تبـدو منطقية للوهلة الأولى، ولكن هـل الكتـب التـي تُدرج في قوائم الكتب الأعلى مبيعًا هي الأفضل حقًّا من ناحية المحتوى بالضرورة؟ الإجابة التي قد تفاجئ البعض هي، لا.. أبـدًا، بـل علـى العكس من ذلك في الغالب الأغلب، وللمسـألة تفصيل سأعرضه من خلال السطور القادمة.

ذكرت أن الكتب التي تدرج في قوائم الكتب الأعلى مبيعًا ليست هـي الأفضـل من ناحية المحتوى بالضرورة، ويرجع السـبب في ذلك إلى أن الجهات التي تقوم بنشـر هذه القوائم، سـواء أكانت مكتباتٍ أو صحفًـا أو مواقـع إنترنـت، غيـر معنية في الواقع، لا من قريب أو بعيد، بفحـوى تلـك الكتـب المدرجـة فـي قوائمهـا، ولا يهمّهـا التفريق بين الجيد والرديء منها، بل يرتبط الأمر عندها في المقام الأول والأخير بمقدار ما تبيعه تلك الكتب في فترة محدّدة قد لا تزيد على الأسـبوع أو الأسـبوعين. بعبـارة أخـرى، ترتكز قوائـم الأعلى مبيعًا على العامل الكمّـي للمبيعـات خـلال فتـرة زمنيـة قصيـرة لا العامـل النوعي، وهو الأمر الذي قد تحرّكه عوامل متعدّدة، كحملة تسويقية كبيرة، أو ضجة إعلامية تصاحب إطلاق الكتاب، أو ملامسـة الكتاب لموضوع طارئ أو مثير أثار فضول الناس فجعلهم يسارعون إلى شرائه. ولطالما خُدع

كثير من القرّاء بعبارة «الكتاب الأعلى مبيعًا» التي وُصف بها كتاب ما، فسارعوا إلى اقتنائه، ليخيب ظنهم بعد قراءته، حين وجدوا محتوياته أقل بكثير من المتوقّع.

من المهم التنبيه كذلك إلى أن قوائم الكتب الأعلى مبيعًا تُحدَّد وفقًا لوتيرة مبيعات الكتاب خلال فترة زمنية محدّدة، وليس بإجمالي المبيعات. فمثلاً قد يكون كتاب ما في المرتبة الأولى في حجم المبيعات لمدة ثلاثة أسابيع، محققًا بذلك لقب الكتاب الأعلى مبيعًا، ثم يختفي بعد ذلك عن الأنظار تمامًا. وفي المقابل قد يحقّق كتاب آخر المركز الخامس عشر في حجم المبيعات في الفترة ذاتها، ولكن تستمرّ مبيعاته على مدار السنة، وهكذا تكون المبيعات الإجمالية السنوية للكتاب الأول عشرين ألف نسخة، في حين قد تصل مبيعات الكتاب الآخر إلى مئة ألف نسخة. وبهذا يكون هو الكتاب الأكثر مبيعًا في الحقيقة، وإن لم يتصدّر قائمة المبيعات.

يرغب كثير من الكُتّاب في تأليف كتبٍ تدخل إلى قوائم الأعلى مبيعًا، لأن الدخول إلى هذه القوائم من أقصر الطرق للوصول إلى الشهرة، الأمر الذي قد يجعل البعض من هؤلاء يرغب بذلك ويندفع نحوه ولو كان على حساب المضمون الفكري والمحتوى الثقافي أو الأدبي لكتبهم. ولذلك يعلم هؤلاء أن أفضل الطرق في تحقيق ذلك هو الكتابة عن موضوع يتماشى مع الصيحات الدارجة أو الموضوعات مثار الاهتمام الطارئ، وذلك لأن هذه الصيحات الوقتية تخلق هوسًا خاطفًا وفضولاً قد يدفع الناس إلى شراء هذه الكتب في أسرع وقت ممكن، مما يخلق مبيعات كبيرة في فترة قصيرة فيجعلها تدخل قائمة الأعلى مبيعًا بسرعة. لكن الحقيقة هي أنه بمجرد زوال تلك الصيحات تركد مبيعات

هذه الكتب على المدى الطويل، وهذا هو السر وراء حرص هذا النوع من الكتّاب على الانتهاء من التأليف والنشر بسرعة حتى تصل كتبهم إلى الجمهور بأسرع وقت ممكن، وذلك قبل أن تتغيّر بوصلة الاهتمامات، وهو الأمر الذي سيكون على حساب جودة تلك الكتب.

أغلب الكتب التي تتناول بطريقة مثيرة موضوعات السياسة والدين والجنس، والتي تشكّل ما يعرف بمثلث الإعلام الشهير، تزدهر مبيعاتها حال إطلاقها، ولكن سرعان ما تتواضع لتذوي ومن ثم تموت. الكتب التي تناولت ثورات الربيع العربي، على سبيل المثال، راجت جدًا في فترة تلك الثورات، ولكن انزوت من بعد ذلك لأنها لم تكن تملك عناصر البقاء في دائرة اهتمام الناس، وكذلك الكتب التي تتناول فساد الحكومات والساسة تروج جدًا بعد انهيار تلك الحكومات وسقوط أولئك الساسة، ولكنها سرعان ما تختفي لأنها لم تملك عناصر الصمود اللازمة، وغيرها كثير مما يشابهها. وفي السياق نفسه، تزدهر مبيعات كتب الفضائح وتفسير الأحلام والحميات الغذائية سريعة النتائج وما شابهها، ولكن سرعان ما ينصرف اهتمام الناس عنها، الأمر الذي أعترف بأنه قد يطول في بعض الحالات.

من زاوية، يستطيع الكُتّاب والناشرون الذين يملكون الموارد المناسبة ويرغبون في إدخال كتبهم إلى قوائم الأعلى مبيعًا، أن يخلقوا اهتمامًا كبيرًا مشابهًا لدى الجمهور بكتبهم الجديدة عن طريق إطلاق حملات تسويقية كبيرة تثير فضول الناس فتدفعهم لشراء تلك الكتب بشكل سريع، ممّا يجعلها تتصدر قوائم الكتب الأكثر مبيعًا.

نعم، قد يكون هناك في قوائم الأعلى مبيعًا كتب جيدة، توافقت جودة محتواها مع ظروف معيّنة ساهمت في انتشارها السريع، ولكن

لا تتـاح هـذه الفرصـة لـكل الكتـب الرائعة المحتوى، فـلا تدخل في الغالـب إلـى تلـك القوائم. من الملاحظات الظريفة في هذا الصدد أن كثيـرًا مـن الكتـب قـد لا تدخل إلى قوائم الكتـب الأكثر مبيعًا إلا بعد سـنوات مـن إطلاقهـا، وكثيـرًا ما يكون ذلك بسـبب «ضجـة إعلامية» طارئـة أحاطـت بمؤلّفهـا، بغض النظر عن طبيعة هذه الضجة، وسـواء أكانـت إيجابيـة كخبـر فـوزه بجائزة أدبية أو ثقافية ما، أو سـلبية كخبر فضائحـي علـى غـرار ثبوت سـرقته لبعض النصـوص الأدبية، ليندفع النـاس نحـو شـراء كتبه بحثًا عما يغـذّي فضولهم أو يقرّبهم من دوائر الضوء الإعلامي المسلّط!

أن يكون الكتاب «أكثر مبيعًا» وإن لم يكن سـهلاً فإنه ليس بالأمر الصعب جدًّا، خصوصًا إن أراد مؤلف الكتاب أو ناشره ممارسة قواعد «اللعبة» الخاصة بذلك، لكن صناعة المحتوى الفكري والأدبي الممتاز أصعب من ذلك بكثير.

الكتـب الجيـدة حقًّـا هي تلك التي تملك القـوة الكافية للبقاء في الأذهان، والسـحر اللازم لملامسـة نفوس القرّاء، حتى وإن لم تتصدّر قوائم الكتب الأعلى مبيعًا؛ لأنها تتمتع بعناصر المتعة وملامح الجمال والقدرة على تحفيز الفكر، وهذه المميزات المهمة في الكتاب عادة ما نعرفهـا مـن خـلال توصيات الأصدقـاء أو آراء القراء، وليس من خلال حركـة قوائـم الكتـب الأكثـر مبيعًـا، التـي لا تتعدّى كونهـا إحصائيات تعرض ما يشتريه الناس في فترة محددة من الزمن، ولا تعكس تفاصيل الكتاب بحدّ ذاته. إن هذه الكتب الجيدة، هي التي يجدر بنا أن نبحث عنهـا بعنايـة، لا مـن خلال قوائـم الكتب الأعلى مبيعًا، وإنما من خلال سـؤال العارفين وقراءة ما يُكتب عنها بأقلام النقاد الصادقين، وما يقال

عنها على ألسـنة القرّاء الأذكياء، وتصفّحها بأنفسـنا من بعد ذلك، لأنها هـي الكتـب القـادرة علـى أن تترك بصمات حقيقية في فكرنا ونفوسـنا وحيواتنا.

(ساجد)

21

ست دقائق

الخرافة: الفرد العربي يقرأ ست دقائق في السنة

دائمًا ما تلازم نظرات الحزن واليأس أحدنا وهو يقرأ في كتاب كلمة: نحن العرب لا نقرأ.. وبعد هذه الجملة تقال لك هذه النسبة المحبِطة.. هل تعرف أن الفرد العربي يقرأ ست دقائق في السنة.. يا أخي ست دقائق والله فضيحة..

هل فعلاً ست دقائق رقم معقول؟.. لا أظن.. ولكن من أين أتت القصة..

في عام 2011 انتشرت هذه الإحصائية التي تقول بنظرية الست دقائق في جميع القنوات الفضائية والصحف، وتبعتها بعد ذلك وسائل التواصل الاجتماعي.. وردت هذه الإحصائية في تقرير عن التنمية الثقافية قامت بإعداده مؤسسة الفكر العربي..

الكاتبة ليا كالدويل في مقالها «القارئ العربي وخرافة الست دقائق» قامت ببحث جميل حول هذه الخرافة.. تقول: عند مراجعة نسخة من تقرير مؤسسة الفكر العربي المذكور أعلاه وجدت التالي: «إن اعتبرنا أن أقلّ معدل للوقت الذي يقضيه الشباب العربي على الإنترنت هو ثلاثمئة وخمس وستون ساعة سنوية، وإن قارنا هذا المعدل مع معدل ما يقرأه العربي سنويًا - ست دقائق - هكذا يصبح الفارق بين الاثنين واضحًا»[1].

---

(1) http://hekmah.org/?p=517

The Arab Reader and the Myth of Six Minutes. Leah Caldwell.

لا يوجد أي دليل على كيفية وصول القائمين على التقرير إلى هذا الرقم ولا حتى إرفاق أي مصدر معلوم له. وبعد مخاطبة مؤسسة الفكر العربي قالت السيدة ثناء عطوي المتحدّثة باسم المؤسسة إن «الست دقائق لا ينبغي أن تُتناول كرقم دقيق بل كرمز للمشكلة، هي ليست ست دقائق بالتحديد لكنها أشبه برمزا»..

تُنسب أحيانًا هذه الخرافة إلى اليونسكو وتقول الكاتبة:

ظهرت جملة نسبت إلى تقرير اليونسكو لعام 2007 م جاء فيها «معدل القراءة اللاصفية للطفل في العالم العربي لا يتجاوز ست دقائق، مقارنة بنظيره الغربي الذي يقرأ ما يقارب اثني عشر ألف دقيقة»، وجملة أخرى تقول إن العربي يقرأ قرابة ربع صفحة سنويًا مقارنة بأحد عشر كتابًا يقرأها الأمريكي. وبعد التدقيق في مستندات اليونسكو المتوافرة على الإنترنت لا يوجد أي ذكر لما سبق بأي من النسختين العربية والإنجليزية. كما أن موظفًا في اليونسكو يُدعى فراس الخطيب أكد لي أن اليونسكو ليست مصدرًا لإحصائية كهذه. وكان ممّا قال: «سمعت عن هذه الإحصائية مسبقًا، لكنها ليست من منشورات اليونسكو»..

سأترك لكم بقية المقال في الرابط للاطلاع عليه، فهو يحوي كثيراً من البحث والحوارات حول هذه القضية. والخلاصة: قراءة العربي ست دقائق في السنة هي خرافة بالتأكيد..

لكن السؤال الحقيقي يكون كما سأله الدكتور عبد الله الغذامي في مؤتمر لمؤسسة الفكر العربي عام 2009 «هل نحن أمة لا تقرأ؟»:

ولسوف نرى أن العرب يقرأون، ولكن السؤال هو عن نوعية المقروء، خاصة إذا عرفنا أن كتابًا مثل «لا تحزن» لمؤلفه الشيخ عائض القرني قد باع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة في فترة وجيزة، وهي إحصائية

شملت مصر واليمن والأردن ومنطقة الخليج العربي، بينما تقف دواوين أدونيس عند أعداد محدودة وضيقة. والأمر هنا هو في خيارات ثقافية للجمهور، مما يجب أن يكون موضع سؤال وتفكر.. سنظل في هذه الورقة نقول إننا أمام سؤال عن نوعية المقروء ولسنا أمام سؤال عن القراءة بشكل مطلق.. (اليد واللسان)..

بالفعل نحن نقرأ الجرائد ونشاهد الأفلام وشبكات التواصل الاجتماعي وأحيانًا الكتب.. بل كثيرًا في وقتنا الراهن.. ولكن يبقى صدى كلمات الفيلسوف أرسطو يرتدّ إلى يومنا ينبّهنا ويذكّرنا. قيل لأرسطو: كيف تحكم على إنسان؟ فأجاب: أسأله كم كتابًا يقرأ؟ وماذا يقرأ؟

(عبد المجيد)

22

البيضة والدجاجة

الخرافة: القراءة السريعة صالحة في كل وقت ولكل كتاب

أنـا مؤمـن بفكـرة.. وهـي أننا كمجتمع عربي علينا أن ننشـر محبة القراءة والكتاب قبل أن نبدأ بتعليم الناس القراءة السريعة.. ليس شرطًا أن تكـون فكرتـي هـي الصحيحـة بل هي طريق أنـا اخترته.. وأنا أعرف أن هناك من يقول لي: ولكن قد نستطيع أن نجعل الناس يحبّون القراءة ونزرع ذلك في المجتمع عن طريق القراءة السريعة.. أقول لهم صدقتم.. لا يهمّ أيّهما أسبق البيضة أم الدجاجة.. دعونا نهتمّ بالأثر كيفما يكن.. بالنسـبة لـي أنـا متمسّـك بفكرتـي.. وهـي بنـاء العلاقة أولاً مـع القراءة والكتاب.. ثم نرتقي بعد ذلك درجة نحو السرعة.. والمقارنة بيننا وبين المجتمعات الغربية ليست سليمة.. فهم بنوا أساسًا متينًا عبر جيل يحب الكتاب والقراءة.. ونحن نفتقد لذلك في الأساس..

قرأت كثيراً عن القراءة السريعة وحضرت عنها دورات كثيرة أيضًا، وأرى بشـكل شـخصي أنها فعّالة ومؤثّرة.. لكن يكمن السـؤال: هل كل الكتب تُقرأ بهذه الطريقة؟.. السـرعة هي اختصار الطريق للوصول إلى هـدف أو نتيجـة.. معلومـات أكثر، حفظ، فهـم الفكرة العامـة.. ولكن القـرّاء الحقيقييـن يعرفـون أن الرحلـة والطريق هما الهدف نفسـه.. هما الغايـة.. التجربـة العميقـة والضياع فـي صفحات الكتاب مما يكسـباننا السموّ والنشوة..

وأعتقـد فـي الحقيقـة أن طريقـة القـراءة تفرضها الكتـب عليك.. إلا إذا اختـرت أنـت تجـاوز هذا الطلب والسـرعة في تجـاوز التجربة..

هناك كتب تهزّك وتصدمك مثل المطبّات في الطريق.. لابد أن تفرمل وإلا أصبت سيارتك بأضرار جسيمة.. وأنت تفعل كذلك في قراءتك للكتاب الذي يتطلّب منك التمهّل والقراءة بعمق.. لأنك لا تعطي عقلك وجسدك الوقت الكافي لكي يستبطن التجربة.. يقول تشارلز كولتون: «كثير من الكتب لا تتطلب تفكيرًا من قرّائها، ولسبب بسيط جدًا.. فهي لم تتطلب مثل هذا التفكير من مؤلّفيها، ومن ثم فإن أعظم الأعمال تلك التي تجعل ملكاتنا الفكرية في قمّة عملها».. على العكس.. فإننا برأيي نحتاج مثل هذه الكتب في حياتنا.. التي لا تتطلب بطأً في قراءتها، لكن السؤال المهم: هل توجد في قائمة قراءتك كتب تتطلب وقتًا وتعمّقًا في قراءتها.. لأنه إذا لم توجد فلديك خلل في اختياراتك.. واختياراتك في الكتب هي التي تصنع أفكارك.. قرأت لنيتشه وجبران والرافعي وألبرتو مانغويل.. ولم أستطع أن أقرأهم بسرعة، وبالذات ألبرتو مانغويل.. لأنه يتكلم عن شغفي.. القراءة.. أحيانًا تمرّ عليّ صفحات ترعبني في بدايتها ولا أستطيع إكمالها.. وآخذ وقتي في تجهيز نفسي لما سأقرأه.. أحيانًا تصيبني هذه الرهبة عندما أعلم أهمية ما سأقرأه على بنيتي المعرفية.. أعلم أن هناك ركنًا أو عمودًا سوف يسقط.. أو أن هناك اكتشافًا لعالم جديد وبعد آخر لم أتصوّر يومًا أنه موجود.. لا استغرب مثل هذه الرهبة.. فتمامًا عندما نقدم على اكتشاف جديد أو تجربة جديدة.. يصيبنا هذا التوتر وهذه الرهبة.. نأخذ وقتنا في التشبّع بهذه اللحظة لأنها لن تأتي كما هي مرة أخرى.. ندلّلها بحواسنا ونبطنها في الذاكرة.. وبعد ذلك نعيشها في اللحظة، في الآن..

يقول بعضهم إنه لا يملك هذه المهارة وهذه المقدرة، لذلك يشعر بالنقص.. وأقول له لا يهمّ ما هي سرعتك في القراءة قدر امتصاصك

لروح الفكرة التي في الكتاب.. لأن أثر الكتاب الواحد يكون أحياناً أكثر مـن ثلاثـة كتـب قرأتهـم على عجـل.. نعم كتاب واحد قـد يغيّر حياتك تمامًا.. وأنا متأكد أن القراءة المستمرّة تزيد من ملكة السرعة لدينا.. في المـرة القادمـة التـي تريد قراءة كتاب فيها.. اقرأ كما يحلو لك.. نعم، لا يوجد سرّ أو تقنية خفية.. فقط اقرأ..

(عبد المجيد)

23

مستعد للانحراف

الخرافة: الكتب تقود إلى الانحراف الفكري!

يزعـم بعـض النـاس أن قراءة بعض الكتب قد تقود إلى الانحراف الفكري، والتشوّه العقدي، ويدعون لذلك إما للامتناع بالكليّة عن قراءة الكتـب، وإمـا إلـى فـرض رقابـة مسـبقة على مـا يقرأه النـاس من كتب ومطبوعات. وهذا زعم خطير جدًّا قاد إلى نتائج كارثية.

لكننـي فـي البدايـة، وقبل الشـروع فـي تفنيد هذا الكلام، سـأكون منصفًـا وأقـر بـأن هناك عشـرات الكتب، بل مئـات وربما آلاف، تحوي أفـكارًا منحرفـة فـي مختلف شـؤون الدنيا والدين، وتضمّ كتابات سـيئة ومغلوطـة قـد تفضي إلى تشـوّهات عقديـة. نعم هذا صحيح تمامًا، لأن الكتـب فـي النهايـة، وأعنـي هنا كل الكتب التي كتبها البشـر، ما هي إلا اجتهادات معرّضة للصواب والخطأ وللسّداد والانحراف.

عـلاج الأمـر لا يكـون بمنع القـراءة نهائيًا، اللهـم إلا قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية الأساسـية كما ينادي بعضهم، ولا بفرض الرقابة المسبقة على الكتب، وذلك، أولاً، لأن الناس عرضة للانحراف في عصرنا الحالي عبر ألف وسـيلة ووسـيلة غير الكتاب. وعلى سـبيل المثـال، فأعـداد مـن يشـاهدون التلفاز ويخوضون غمـار مواقع الفيديو على الإنترنت ويتعاطون مع شبكات التواصل الاجتماعي اليوم أضعاف أضعـاف مـن يتداولون الكتب ولا تـزال تغريهم القراءة، وهذه المصادر وغيرها ممّا يشابهها، لهي أشدّ خطرًا وأكثر ضررًا على صعيد الانحراف الفكـري والتشـوّهات العقديـة مـن الكتب التي صارت في زماننا سـلعة

تعانـي مـن قلّـة الشـارين، ولا أظن العلاج هنا أيضًا يكـون بمنع التلفاز والإنترنـت وشـبكات التواصـل الاجتماعـي. وثانيًـا، لن يمكـن للرقابة المسـبقة علـى الكتـب أن تمنـع الراغبين بالحصول علـى أي كتاب من الوصول إليه، ونحن في زمن الإنترنت الخارق السرعة والهواتف الذكية والكمبيوتـرات اللوحيـة، التـي جعلـت بالإمـكان نقل عشـرات الكتب المكوّنة من آلاف الصفحات من أقصى الأرض إلى أقصاها، في دقائق محدودة، مخترقة بذلك كل الحواجز والعوائق الجغرافية والرقابية.

العـلاج الناجـع لمنـع عمـوم الناس من الوقوع في شـراك الأفكار المنحرفة الهدامة دينيًا وسياسـيًّا واجتماعيًّا، هو أن ننشـر في مجتمعاتنا ثقافة ما أسـمّيه بالقراءة الذكية، والتي أعني فيها أن يتعلّم الناس أصول القراءة السليمة وقواعدها، فالقراءة كأي ممارسة إنسانية أخرى، تحتاج بطبيعتهـا إلـى أن يتعلّمهـا المرء بتدرّج. ومـن مقتضيات التدرّج أن يقرأ الإنسان أولاً في الكتب المبسطة على صعيد اللغة والأسلوب والعرض والفكرة المطروحة في المجال المقصود، ثم يرتقي بعد ذلك إلى ما هو أصعـب وأعمـق وأثقـل، وهكذا. القراءة تمامًا كالسباحة في البحر، من يقفز إلى الماء قبل أن يجيدها سيكون معرضًا للغرق ولا شك، وكذلك القارئ الذي يسـتعجل القفز في سـطور الكتب العميقة الثقيلة الدسـمة، قبل أن يتطوّر فكريًا بقراءة ما هو أبسـط منها حتى يمسـك جيدًا بأسـس ما يمرّ عليه، سيكون عرضة للغرق بين أمواج سوء الفهم وعدم القدرة على فرز الغثّ من السمين. من مقتضيات القراءة الذكية أن يجدّ القارئ لعـرض مـا يقـرأ علـى من هـم أعلم منه وأخبـر، فيتمكّن من مناقشـتهم ومحاورتهم ليصل بذلك إلى فرز الصالح من الطالح والمفيد من الضارّ.

إن ممارسة فن القراءة الذكية هي ممارسة فكرية تنير العقل وتسدّد

التفكيـر، والقـارئ الـذي يُعطـى الفرصة للتدرّج فـي القراءة ولعرض ما يقرأه في النور ومناقشـته بحثًا عن إجابات تسـاؤلاته، سـيجد من يرشده ويصحّـح لـه حتـى وإن اعترضت طريقه أفـكار منحرفة في هذا الكتاب أو ذاك، على عكس من يُجبر على البحث عن إجاباته في الظلام بعيدًا عن العيون. كما أننا لو بحثنا بتجرّد وصدقية في سير المنحرفين سلوكيًا وعقائديًّا في مجتمعاتنا، لوجدناهم من البعيدين في الغالب عن القراءة والكتب.

خلاصـة القـول هنـا أن القـراءة الحرّة وتداول الكتـب هما اللذان ينيـران العقـول ويسـدّدان الأفكار ويحميان عمـوم الناس والمجتمعات من الانحرافات، لا العكس كما يزعم الزاعمون.

(ساجد)

24

آخر صيحة!

الخرافة: القراءة موضة قديمة!

يظن كثير من الناس أن «القراءة» قد أصبحت اليوم موضة قديمة، خصوصًا في ظل التقدم التكنولوجي وظهور كثير ممّا يمكن تسميته بوسائل «المعرفة والتثقيف الحديثة»، والتي منها على سبيل المثال مواقع الإنترنت التفاعلية والمعتمدة كثيرًا على النصوص المربوطة بالوصلات الحية والصورة والصوت ومقاطع الفيديو، وكذلك شبكات التواصل الاجتماعي، وغيرها. هذا الظن به جانب من الصواب، فالكتاب، وبالأخص الكتاب الورقي، سيظل وسيلة جامدة وموضة قديمة عند مقارنته بهذه الوسائط التفاعلية الحديثة، والمقبلة حتمًا بطبيعة الحال على كثير من التطورات المذهلة التي قد يتجاوز بعضها حدود الخيال والتوقّع. إلا أن المسألة يجب ألاّ تنتهي هنا إلا عند من يظنون أن فوائد القراءة تنحصر بتقديم المعرفة والثقافة، ويقارنونها لذلك بهذه الوسائل الحديثة، وينتهون إلى وصفها بالموضة القديمة. فوائد القراءة يا سادة لا تنحصر في هذا الأمر، بل تتجاوزه بكثير، والسطور التالية ستتناول بعضًا منها.

أولاً، من المهم الإشارة إلى أن الدراسات والتجارب قد أثبتت أن لا شيء يعادل الكتاب في قدرته على تقديم جرعة معرفية ثقافية مركّزة للقارئ الجادّ. مواقع الإنترنت التفاعلية وقبلها وسائل التواصل الاجتماعي، وعلى الرغم من جاذبيتها وغناها الظاهري، فإنها لا تأتي لقارئها إلا بالمعلومات الخفيفة السطحية في الغالب، وحتى إن جاءته

بمـادّة مركـزة فـي موضوع محدّد، فإنها كثيـرًا ما تكون مليئة بالوصلات والروابـط المشـتّتة التـي تسـتدرج القـارئ للضغط عليهـا والانتقال إلى صفحات أخرى قبل إكمال المادة التي كان يقرأها، لينتهي بعد دقائق من التصفّح والتنقل وقد خلص إلى أجزاء متفرقة من المعلومات المشـتّتة من هنا وهناك، تنقصها القيمة المعرفية المنهجية.

ثانيًا، من فوائد القراءة المنهجية للكتب قدرتها على تحفيز نشـاط المخّ بشـكل كبير وبالأخص إثارتها مراكز الخيال، وهو الأمر الذي لا تقدّمه أي من الوسـائل الأخرى التي تعفي الإنسـان من التخيّل إلى حدّ كبير بمزاوجتها للنصوص بالصوَر والأصوات والألوان والفيديو. تحفيز القـدرة علـى التخيّـل يجعل المخّ أكثر صحة، وقد أثبتت الدراسـات أنه يبطئ من الإصابة بمرضي خرف الشيخوخة والألزهايمر.

ثالثًـا، تسـاعد القـراءة علـى التقليـل مـن شـعور الإنسـان بالتوتـر والضغـط العصبـي، على العكس من الوسـائل التقنية الحديثة التي تزيد منها. وسائل التواصل الاجتماعي مثلاً لا يمكن أن تساعد متابعيها على الاسـترخاء النفسـي بما تحمله من أخبار ومعلومات متفرقة متسـارعة، ومواقع الإنترنت المحشوة بالـ«ملتيميديا» أبعد ما تكون عن ذلك، في حيـن أن قـراءة كتـاب جميـل يدخل نفـس القارئ في حالـة من الهدوء والسكينة والاستمتاع.

رابعًـا، تسـاعد القراءة المنهجية علـى تطوير الثروة اللغوية للقراء، خصوصًـا تلـك الكتـب الأدبية الراقية التي يحرص كتّابها على تجويدها لغويًـا، فـي حيـن أن مواقع الإنترنت غالبًا ما تكون مكتوبة بلغة مبسّـطة جدًا، بل وضعيفة أحيانًا. وحدّث ولا حرج عما يُنشـر من ركاكة لغوية في شـبكات التواصل الاجتماعي. زيادة الحصيلة اللغوية تنعكس على

قدرات المرء في التعبير عن نفسه بشكل جيد عند الحديث، وأيضًا على قدرته على الكتابة بشكل أكثر وضوحًا وتركيزًا وبلاغة.

خامسًا، بالإضافة إلى فائدة القراءة المنهجية في زيادة قدرات الذاكرة، فإنها ترفع من قدرات القارئ على التحليل والاستنباط والاستنتاج والنقد، ناهيك عن أنها تزيد من قدرته على التركيز على الفكرة الواحدة في اللحظة الواحدة، في زمن صارت سمته البارزة هي كثرة المشتّتات وعدم التركيز، وهو الأمر الذي ساهمت فيه التقنيات الحديثة من إنترنت ووسائل تواصل اجتماعي، والتي يزعم بعضهم بأنها تقدّم لهم المعرفة والثقافة بسرعة.

لجملة هذه الفوائد الجلية، التي لا يمكن أن تأتي بها الوسائل «المعرفية والثقافية الحديثة» يا سادتي، لن تصبح القراءة أبدًا موضة قديمة.

(ساجد)

25

لا علم إلا في الكتاب المقدّس!

الخرافة: يكفيك أن تقرأ الكتب الدينية

كثيـرًا مـا أصـادف ناصحًا يقول لغيره، إن كنـت قارئًا فاقرأ الكتب الدينيـة، أو اكتـفِ بقـراءة القـرآن الكريـم، لأنـه أنفع. هـذه النصيحة قد تبدو طيبة جدًا في ظاهرها، فلا شك بأن قراءة الكتب الدينية أمر طيّب ونافـع كـي يتفقّه الإنسـان في أمر دينـه، ولا جدال في أن على المرء ألا يهجر كتاب الله وأن يجعل لنفســه ورِدًا معتبرًا من قراءة القرآن يحرص عليه ويداوم بشكل مستمرّ، ولكن ليس صحيحًا على الإطلاق أن على الإنسان أن يحصر قراءته في الكتب الدينية ولا حتى في القرآن الكريم.

الحياة دين ودنيا، ولا يصحّ لأحد أن يترك شأن الدنيا تمامًا بدعوى أنه يريد أن ينصرف بالكلية لشـأن الآخرة، فلا رهبانية في الإسـلام كما أخبرنـا بذلـك نبيّنـا عليـه الصلاة والسـلام، بل قد وجّـه أصحابه إلى أن يهتمـوا بشـؤون الدنيـا وأن يتعلّموها يوم قـال «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، ولا سبيل لتعلّم أمور الدنيا كسبيل القراءة وطلب المعرفة.

الله سبحانه وتعالى أمرنا في كتابه الكريم أن نطلب العلم بعمومه، ديني ودنيوي، في قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلـق: 1-5]. ومـن يقـول إن أمر القـراءة هنا مقصور على طلب العلم الديني، سـنقول له، إن الله عزّ وجل يقول في محكم كتابه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

[آل عمران: 137]. ويقولُ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: 11]. ويقولُ ﴿... أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [يوسف: 109]. ويقولُ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ [الحج: 46]. ويقولُ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾ [العنكبوت: 20]. وغيرها كذلك كثير من الآياتِ الأخرى الّتي تحضّ على السّير في الأرضِ للنّظر في أحوال الأُمم، وكيفَ بدأ الخلقُ، والنّظر والتفكير بمظاهر قدرة الله تعالى ودلائلها المتمثّلة في خلقه. وإن علماء التفسير، تعليقًا على هذه الآيات الكريمة، قالوا إنّ السّير في هذه الحالات لا يكون مقصورًا على فعل السّير حسّيًّا، بطبيعة الحال، فلم تترك كلّ الأمم الغابرة آثارًا تدلّ على وجودها في يومٍ من الأيّام، وليس باستطاعة كلّ الناس أو بمقدورهم التّرحال في جنبات الأرض للنّظر في ما أمرهم الله به، لذلك يكفي بهم السّير معنويًّا، أي بمُمارسة النظر من خلال طلب العلم حول هذه الأمور، وليس من وسيلة أعظم لطلب العلم كالقراءة.

إذًا فالنصيحة بحصر القراءة في الكتب الدينية، أو حتى قصرها على القرآن الكريم، ليست سوى نصيحة غير موفّقة، حتى وإن بدا في ظاهرها الطيبة والصحة، لأنها تعارض أصل ديننا الحنيف الواسع السمح الذي حضّنا ودعانا إلى تعلّم أمور دنيانا والسير في الأرض والنظر في أحوال الأمم وطلب العلم.

(ساجد)

26

الأسعار نار

الخرافة: الكتاب غالي الثمن

التضخـم الاقتصـادي طـال كل شـيء في الدنيا، وتزايدت أسـعار كل السلع بلا استثناء، وما كنا نشتريه منذ عشر سنوات بدينار أو بعشرة ريـالات أو مـا يعادلهـا مثـلاً قد أصبح سـعره اليوم ثلاثـة أضعاف ذلك أو ربما أربعة. والكتب ليسـت اسـتثناء من هذه الحقيقة، ولذلك سـأقرّ وأقول إن الكتب قد زاد سعرها عن السابق بشكل ملحوظ. وإضافة إلى التضخـم الاقتصـادي الذي طال كل شـيء توجد، لزيادة أسـعار الكتب بالذات، أسـباب أخرى مرتبطة بصناعة النشـر والتطورات الحديثة التي طرأت عليها. لكن السؤال هنا، هل يمكننا مع ذلك أن نقول إن الكتاب قـد أصبـح اليـوم سـلعة غالية الثمن؟ في الحقيقـة لا أجدني أوافق على ذلك.

نعـم، لا شـك بـأن الكتـب، كأي سـلعة أخـرى سـواء كانـت مـن الأساسـيات أو الكماليـات، تعتبـر غاليـة الثمـن عند محـدودي الدخل والفقراء، ولنضع هذا أمام أعيننا خصوصًا عند التفكير في أهمية إيصال المعرفـة والثقافـة والمتعـة الموجـودة فـي الكتب لهذه الفئـة المحرومة مـن النـاس. لكـن حديثنـا هنا في هذا المقام ليس لهـؤلاء، وإنما لعموم الشـريحة المتوسـطة الذين يشـكّلون الأغلبية في مجتمعاتنا العربية ممّن قد يصل إليهم هذا الكتاب.

يتراوح سـعر الكتاب الثقافي العام متوسـط الحجم ما بين الدينار والأربعة دنانير، أو ما بين العشرة ريالات والأربعين ريالاً (أو ما يعادلها)،

ولـو نظرنـا إلـى هذا المبلغ لوجدنا أنه يقارب متوسـط ما يدفعه بعضهم ثمناً لكوب من القهوة تصاحبه شطيرة أو قطعة من الكيك، أو ثمناً لوجبة سريعة يتناولها بلا تردّد كثير من أولئك الذين قد يتذرّعون لعدم القراءة بغلاء أسعار الكتب!

مـن يريـد القـراءة حقّـا لا يصحّ له أن يتذرّع بغلاء أسـعار الكتب، فناهيـك عـن حقيقـة أن النـاس اليـوم ينفقـون مبالـغ طائلة شـهريًا على الكماليات والإكسسوارات غير الأساسية، وعلى تسديد فواتير الهواتف النقالة والإنترنت التي اسـتخدموها لسـاعات طويلة لدواعٍ غير ضرورية فـي كثيـر مـن الأحيان، وعلى التدخين وما يشـابهه من العادات الضارّة، وأن بعضهم يتردّد في الوقت ذاته في شراء الكتب بزعم غلاء أسعارها، فـإن الحصـول علـى الكتـب متـاح بأسـعار رمزية أو بالمجـان بأكثر من طريقة.

يمكـن شـراء الكتـب من محـلات الكتب المسـتعملة ومعارضها، والتي تبيعها بأسـعار زهيدة جدًا، ويمكن اسـتعارة الكتب من المكتبات العامـة، أو مـن الأصدقاء، ويمكـن، وهذا خيار متاح ربما للمضطر حقّا ممـن لا يجـد القدرة فعلاً على شـراء النسـخة الورقيـة من كتاب يريده، البحث عن نسخة إلكترونية مرفوعة على شبكة الإنترنت وتحميلها إلى حاسبه الشخصي بالمجان، وإن كان هذا الخيار بطبيعة الحال يحمل معه إشـكالية التعدّي على الحقوق الفكرية لمؤلف الكتاب وناشـره، ولكن هذا حديث آخر.

مـرادي هنـا أن أقـول إن مـن يريد القراءة بصدق سـيجد عشـرات السـبل للوصول إلى ما يبغيه من كتب والحصول عليها، وأما ذريعة أن الكتب غالية الثمن فهي ذريعة سـاقطة، أثبت التاريخ مرات عديدة بأنها

لـم تمنـع عشـرات العلمـاء والأدبـاء والمثقفين، من محـدودي الدخل والفقـراء، فـي القديـم والحديث، في الشـرق وفي الغرب، من الوصول إلى ما يريدونه من كتب وقراءتها.

(ساجد)

27

هل أنت قارئ مثالي؟

الخرافة: هناك من يُدعى بالقارئ المثالي!

السعي وراء القارئ المثالي كالسعي وراء حجر الفلاسفة.. لن تصل أبدًا إلى نتيجة في هذه المعادلة لأنها مغلوطة من أساسها.. المثالية مقابل القـراءة.. برأيـي يفنـي أحدهما الآخر.. لأن المثالية تتطلّب النموذجية.. والنمذجـة تتطلّـب قالبًـا وخـطّ سـيرٍ موحّدًا حتـى تتمّ المقارنـة.. وهنا نقع في المغالطة.. القراءة أسـلوب حياة وتجربة ذاتية شـخصية خاصة ودعوني أقلْ: أنانية..

أثنـاء تزلّجـي فـوق صفحـات الكتب للبحث عـن معلومات مهمّة لكتابـي وجـدت مقالـة مجنونة لكاتبـي المجنون ألبرتـو مانغويل تُدعى «ملاحظـات حـول القـارئ المثالي» في كتابـه «فن القراءة».. وبدأ مقالته بسـرد بعض الأمور التي تجعل من القارئ قارئًا مثاليًا.. تحمّلوني على وضعها هنا لأنها طويلة ولكني متأكّد أنكم لن تندموا على قراءتها:

القـارئ المثالـي هـو تمامًـا الكاتب قبل أن تتجمّـع الكلمات على الصفحة.

القارئ المثالي وُجِد في اللحظة التي تسبق الإبداع.

القرّاء المثاليون لا يعيدون بناء قصة: إنهم يشاركون فيها.

برنامـج كتـاب أطفـال شـهير على محطة البي بي سـي يبـدأ دائمًا بالمقدم سائلاً.. «أتجلسون مرتاحين؟ إذن نبدأ».

القارئ المثالي هو أيضًا الجالس المثالي..

فـي الرسـوم يظهـر القديـس جيـروم منحنيًا على ترجمتـه للكتاب

المقدّس.. مصغيًا إلى كلمة الله.. على القارئ المثالي أن يتعلّم كيف يصغي..

القارئ المثالي هو المترجم.. القادر على تشريح النص.. سلخ الجلد.. تقطيع اللب إلى شرائح.. متابعًا كل شريان وكل وريد.. ومن ثم يوقف كائنًا واعيًا جديدًا.. بالكامل على قدميه.. القارئ المثالي هو ليس محنِّط الحيوانات..

عند القارئ المثالي كل الوسائل هي مألوفة..

عند القارئ المثالي كل المزحات هي جديدة..

«على المرء أن يكون مخترعًا كي يقرأ جيدًا».. (رالف والدو إيمرسون)..

للقارئ المثالي قابلية غير محدودة على النسيان، ويمكنه أن يصرف من الذاكرة معرفة أن دكتور جيكل ومستر هايد هما واحد وهما الشخص نفسه.. أن جوليان سوريل سينتهي مصيره إلى قطع رأسه... أن اسم قاتل روجر آكرويد هو فلان.

القارئ المثالي لا يعير أهمية لكتابات بريت إيستون إيليس.

القارئ المثالي يعرف ما يعرفه الكاتب وحده بالحدْس..

القارئ المثالي يدّمر النص.. القارئ المثالي لا يأخذ كلمات الكاتب كحقيقة مسلّم بها..

القارئ المثالي هو قارئ تراكمي: كل قراءة كتاب تضيف طبقة جديدة لذاكرة القصة..

كل قارئ مثالي هو قارئ تَشارُكِيّ ويقرأ كما لو أن كل الكتب كانت عملاً لمؤلف واحد غزير الإنتاج..

لا يمكن للقرّاء المثاليين أن يضعوا معرفتهم في كلمات..

بُعَيْد غلق الكتاب.. يشعر القرّاء المثاليون أنهم لو لم يقرأوه لكان العالم أفقر..

للقارئ المثالي إحساس هائل بالفكاهة..

القراء المثاليون لا يحسبون أبدًا عدد كتبهم..

القارئ المثالي سخيّ وجشع على حدّ سواء..

القارئ المثالي يقرأ كل الأدب كما لو كان غفلاً من الإسم..

القارئ المثالي يروق له استخدام المعجم..

القارئ المثالي يقيّم الكتاب من خلال غلافه..

بقراءته كتابًا من قرون ماضية.. يحسّ القارئ المثالي بنفسه خالدًا..

لم يكن باولو وفرنشيسكا قارئين مثاليّن ما داما قد اعترفا لدانتي أنهما بعد قبلتهما الأولى كفّا عن القراءة. القرّاء المثاليون يمكنهم تبادل القبلات ومن ثم مواصلة القراءة.. حب واحد لا يُقصي حبًّا آخر..

القرّاء المثاليون لا يعرفون أنهم قرّاء مثاليون حتى يكونوا قد وصلوا إلى نهاية الكتاب..

القارئ المثالي يقاسم أخلاق دون كيخوته.. رغبة مدام بوفاري.. شهوة «امرأة من باث».. الروح المغامرة لأوليسيس.. طبع هولدن كولفيلد.. على الأقل أثناء القراءة..

القارئ المثالي يطأ السبيل الممهّد.. «قارئ جيّد.. قارئ مهم.. قارئ فعّال ومبدع هو معيد قراءة» (فلاديمر نابوكوف)..

القارئ المثال هو شِزكيّ..

القارئ المثالي يحفظ للكتاب وعد النشور..

روبنسون كروزو ليس قارئًا مثاليًا.. هو يقرأ الكتاب المقدّس بحثًا عن أجوبة.. القارئ المثالي يقرأ بحثًا عن أسئلة..

كل كتاب.. جيد أو رديء.. له قارئه المثالي..

القارئ المثالي يقرأ كلّ كتاب.. إلى حدّ معين.. كسيرة ذاتية..

القارئ المثالي ليس له جنسية محدّدة..

أحيانًا.. على الكاتب الانتظار قرونًا عديدة.. لإيجاد القارئ المثالي.. استغرق بليك مئة وخمسين سنة كي يجد نورثروب فراي.

قارئ ستاندال المثالي: «أنا بالكاد لمئة قارئ.. لكائنات تعيسة.. مُحبّة وفاتنة.. غير أخلاقية أو مرائية.. يطيب لي أن أراضيها.. أنا بالكاد أعرف منهم واحدًا أو اثنين».

القارئ المثالي يعرف ماذا يعني أن يكون تعيسًا..

القراء المثاليون يتغيّرون مع الزمن.. القارئ المثالي ذو الأعوام الأربعة عشر الذي يقرأ «عشرون قصيدة حب» لنيرودا لا يعود قارئه المثالي في سن الثلاثين.. تفقد التجربة بريق قراءات معيّنة..

بينوشيت الذي حظر «دون كيخوته» لأنه اعتقد أنه يحرض على العصيان المدني.. كان هو القارئ لذلك الكتاب..

القارئ المثالي يمكن أن يضلّ تائهًا في جغرافية الكتاب..

على القارئ المثالي أن يكون راغبًا.. لا بتعطيل الكفر فحسب.. بل باحتضان جديد..

القارئ المثالي لا يفكر أبدًا: ماذا لو..

الكتابة على الهوامش هي علامة على القارئ المثالي..

القارئ المثالي يريد أن يهتدي..

القارئ المثالي مُتلوّن بلا حياء..

القارئ المثالي يمكن أن يقع في حب واحدة من شخصيات الكتاب..

القـارئ المثالـي لا تهمّـه المفارقة التاريخيـة.. الحقيقة الوثائقية.. الصحة التاريخية.. الدقة الطوبوغرافية.. القارئ المثالي ليس أركيولوجيًا..

القـارئ المثالـي منتهـك عديـم الشـفقة للقواعـد والضوابـط التي يضعها كل كتاب لنفسه..

«ثمة أنواع ثلاثة من القرّاء: النوع الأول.. يستمتع من دون تقييم. الثالـث.. يقيّـم مـن دوم اسـتمتاع.. النوع الآخر في الوسـط.. يقيّم أثناء الاسـتمتاع، ويسـتمتع أثناء التقييم.. الفئة الأخيرة تعيد حقًا إنتاج عمل من الفن بشكل جديد.. أعضاؤها ليسوا كثرًا».. (غوته.. في رسالة إلى يوهان فريدريش روشليتز)..

القـرّاء الذيـن ارتكبـوا الانتحـار بعد قـراءة «Werther» (آلام الفتى فيرتر) لم يكونوا مثاليين بل كانوا قرّاء مفرطي العاطفة لا غير..

القارئ المثالي يتمنّى الوصول إلى نهاية الكتاب وعدم نهايته على حدّ سواء..

القارئ المثالي ليس بَرِمًا مطلقًا..

القارئ المثالي لا تهمّه الأجناس الأدبية..

القارئ المثالي هو (أو يبدو) أكثر ذكاءً من الكاتب.. ليس للقارئ المثالي بهذا مأخذ على الكاتب...

سيأتي زمن يعتبر كل قارئ نفسه قارئًا مثاليًا..

مقاصد الله ليست كافية لإنتاج قارئ مثالي..

الماركيـز دوسـاد: «أنـا أكتب فقط للقادرين علـى فهمي.. وهؤلاء سيقرأونني من دون خطر»..

الماركيز دو ساد على خطأ: القارئ المثالي هو دائمًا في خطر..

القارئ المثالي هو بطل رواية.

بول فاليري: «مثال أدبي: الإدراك أخيرًا أن الصفحة يجب ألاّ تملأ بشي آخر سوى القارئ».

يجب عدم الخلط بين قارئ مثالي وقارئ افتراضي..

الكتّاب ليسوا أبدًا قرّاء كتبهم المثاليّين..

يعتمد الأدب.. لا على قارئ مثالي، بل على ما يكفي من قرّاء جيّدين..

لا أعرف إن كان ما كتبتُه يعتبر في مقام المقالة أو الاقتباس المطوّل.. ما يهمّني لا هذا ولا ذلك، بل هو اختبار منقول.. هل وجدت في نفسك بعضًا من هذه الملاحظات.. ككلّ الناس لا أعرف إن كانت هذه خرافة أم لا، فأنا إلى هذه اللحظة متردّد.. أترك الحكم لكم مع هذا السؤال المفخّخ!..

(عبد المجيد)

عن المؤلفَين

د. ساجد بن متعب العبدلي

- طبيب بشري من دولة الكويت، متخصّص في مجال الطب المهني والبيئي. درس في كلية الطب – جامعة الكويت، ثم أكمل دراسته التخصّصية العليا في جامعة برمنجهام – المملكة المتحدة. يرأس أحد المراكز الطبية التخصصية العاملة في قطاع الصناعات البتروكيماوية.
- مدرّب في العديد من مجالات التنمية والتطوير البشري والتميّز الوظيفي.
- إعلامي مستقل يكتب في عدة دوريات، وناشط مجتمعي يشارك في الفعاليات المرتبطة باهتماماته وتخصصه.
- ناشط في مجال الإعلام الإلكتروني، ووسائل التواصل الإجتماعي الحديثة.

الإيميل: sajed@sajed.org

تويتر وانستغرام وسناب تشات: DrSajed@

من مؤلفاته:

- القراءة الذكية.
- اقرأ.
- كلمة وكلمتين.
- بصحبة كوب من الشاي.
- .The Ultimate Guide to Life Balance

يؤمن بمقولة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، **بأن المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحيه**، وأن التغيير نحو الأفضل في كل شأن من شؤون الحياة يبدأ دائماً على مستوى الفرد أولاً.

* * *

عبدالمجيد حسين حسن تمراز

- سعودي من مواليد 1988 في مدينة جدة ومقيم فيها.
- بكالوريوس كيمياء حيوية.
- مدرب معتمد ومحاضر.
- خبير القراءة النوعية وباحث معرفي.
- مبتكر ومقدم برنامج (كتبجي) على اليوتيوب.
- creative copywriter في مجال الدعاية والإعلان.

من مؤلفاته:

- كيمياء القراءة.
- جنوني مذهبي في القراءة.
- رمضاني والقراءة.
- قيل وقال ومقال.
- صناعة نوادي ومجموعات القراءة.
- بوصلة القراءة.
- حتى لا تتحول إلى زومبي.



في كل مجتمع خرافات يحيكها الناس عبر الأزمان حول كل شيء من حولهم، ونحن في المجتمعات العربية لدينا كذلك خرافات نسجت حول فعل القراءة، بعضها مضحك وبعضها ينطوي على مغالطات وبعض آخر غريب جداً. هذه الخرافات أعاقت انتشار القراءة ونموها على المستوى الشخصي والجمعي في مجتمعاتنا العربية، ومن هنا حاولنا أن نضع للقارئ العربي هذه الخرافات على طاولة التشريح لنوضح له تفاصيلها وسياقاتها وكيف يمكن الرد عليها، ليظل هدفنا الأهم دائما وأبدا أن نساعد مجتمعاتنا لأن تصبح مجتمعات قارئة، محبة للمعرفة، محبة للكتاب.

ISBN 978-614-01-1723-5
9 786140 117235

جائزة الشيخ زايد للكتاب
الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com